كتاب اقرأ

١٣٥

د. عبد العزيز شرف

فن المقال الصحفي



دار المعارف



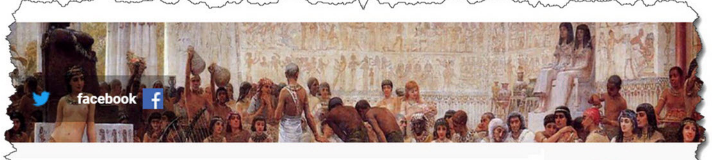
هذا الكتاب

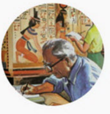
تلتقط هذه الدراسة المقال الصحفى من بين فنون القول الأخرى ، وتتناوله وتحيط به لتعرِّف به ، وتحدد بيئته ومقوماته من خلال البيئة المصرية خاصة .

والمؤلف له باع طويل فى هذه الدراسات أضاف به الكثير إلى المكتبة الحديثة . .

ج ١٠

ندعوكم لزيارة قنواتنا على اليوتيوب
وصفحاتنا على الفيس بوك





قناة الارشاد السياحي

29 ألف مشترك

Please Subscribe

قصص قصيرة - روايات طويلة
كل يوم قصة جديدة

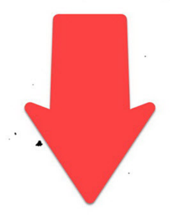


الكتاب المسموع - قصص قصيرة - روايات

330 مشترك

Please Subscribe





قصص قصيرة - روايات طويلة

كل يوم قصة جديدة



الكتاب المسموع - قصص قصيرة - روايات

330 مشتركًا

تخصيص القناة | إدارة الفيديوهات

الصفحة الرئيسية | الفيديوهات | قوائم التشغيل | القنوات | مناقش

الفيديوهات المُحمَّلة تشغيل الكل

الترتيب حسب



إمرأة - يوسف السباعي - قصة قصيرة (الكتاب المسموع)

مشاهدة واحدة • قبل 15 دقيقة

إمرأة غفور - يوسف السباعي - قصة قصيرة (الكتاب المسموع)

23 مشاهدة • قبل يوم واحد

إمرأة شريفة - يوسف السباعي - قصة قصيرة (الكتاب المسموع)

55 مشاهدة • قبل يوم واحد



إمرأة ثكلى - يوسف السباعي - قصة قصيرة (الكتاب المسموع)

42 مشاهدة • قبل 3 أيام

إمرأة ضالة - يوسف السباعي - قصة قصيرة (الكتاب المسموع)

56 مشاهدة • قبل 4 أيام



إمرأة غيرى - يوسف السباعي - قصة قصيرة (الكتاب المسموع)

48 مشاهدة • قبل 5 أيام



إمرأة وطلال - يوسف السباعي - قصة قصيرة (الكتاب المسموع)

40 مشاهدة • قبل 6 أيام



إمرأة ورماد - يوسف السباعي - قصة قصيرة (الكتاب المسموع)

35 مشاهدة • قبل 6 أيام



إمرأة محرومة - يوسف السباعي - قصة قصيرة (الكتاب المسموع)

39 مشاهدة • قبل أسبوع واحد

إمرأة نائمة - يوسف السباعي -قصة قصيرة - الكتاب المسموع

47 مشاهدة • قبل أسبوع واحد



إمرأة صابرة - يوسف السباعي - الكتاب المسموع

52 مشاهدة • قبل أسبوع واحد

إمرأة خاسرة - يوسف السباعي - الكتاب المسموع

57 مشاهدة • قبل أسبوع واحد

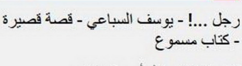


4:39:22

كتاب مسموع - اثنا عشر رجلا (كاملا) - يوسف السباعي

70 مشاهدة • قبل أسبوع واحد

19:31



رجل ...! - يوسف السباعي - قصة قصيرة - كتاب مسموع

25 مشاهدة • قبل أسبوع واحد

16:10

رجل كريم - يوسف السباعي - قصة قصيرة

44 مشاهدة • قبل أسبوعين



20:17

رجل مجهول - يوسف السباعي - قصة قصيرة (الكتاب المسموع)

39 مشاهدة • قبل أسبوعين




19:08

رجل ورسالة - يوسف السباعي - قصة قصيرة كتاب مسموع

57 مشاهدة • قبل أسبوعين

18:41

رجل خاطئ - يوسف السباعي - قصة قصيرة - كتاب مسموع

32 مشاهدة • قبل أسبوعين

19:42

رجل مضيء - يوسف السباعي - قصة قصيرة كتاب مسموع

53 مشاهدة • قبل أسبوعين

16:35



رجل مهرج - يوسف السباعي - قصة قصيرة - كتاب مسموع

50 مشاهدة • قبل أسبوعين

21:46

رجل كافر - يوسف السباعي - قصة قصيرة - كتاب مسموع

70 مشاهدة • قبل أسبوعين



30:34

رجل قرير - يوسف السباعي - قصة قصيرة

78 مشاهدة • قبل 3 أسابيع



55:12

فانتازيا فرعونية - الجزء الثاني - محمد عفيفي (كتاب مسموع)

74 مشاهدة • قبل 3 أسابيع



35:29

رجل عبقري - قصة قصيرة - يوسف السباعي

68 مشاهدة • قبل 3 أسابيع

3:51:39

كتاب مسموع - هذا هو الحب (كاملا) - يوسف السباعي

118 مشاهدة • قبل 3 أسابيع



17:15

رجل عاقل - يوسف السباعي - كتاب مسموع

56 مشاهدة • قبل 3 أسابيع



39:10

رجل وظلال - يوسف السباعي - كتاب مسموع

34 مشاهدة • قبل 3 أسابيع



كتاب مسموع - يا أمة ضحكت كامل - يوسف السباعي - المجموعة القصصية...

139 مشاهدة • قبل 3 أسابيع



دليل الإدانة - قصة بوليسية - الفريد هتشكوك

9 مشاهدات • قبل 4 أسابيع

قصص ألفريد هتشكوك
رصاصة في الظلام
قراءة أحمد معتوق
26:28

رصاصة في الظلام - قصة بوليسية قصيرة - ألفريد هتشكوك

28 مشاهدة • قبل 4 أسابيع



الشبح الظريف - قصة قصيرة مترجمة

11 مشاهدة • قبل 4 أسابيع



اليد المتنقلة - قصة قصيرة مترجمة

15 مشاهدة • قبل 4 أسابيع



كتاب مسموع - الشيخ زعرب وآخرون كامل - يوسف السباعي - المجموعة...

66 مشاهدة • قبل شهر واحد



ميدو قلب الأسد - يوسف السباعي - قصة قصيرة

42 مشاهدة • قبل شهر واحد



عبد البر أفندي - يوسف السباعي - قصة قصيرة

44 مشاهدة • قبل شهر واحد



عبد الجادر عبد الدليل - يوسف السباعي - قصة قصيرة

44 مشاهدة • قبل شهر واحد



الشيخ زعرب - يوسف السباعي - كتاب مسموع

35 مشاهدة • قبل شهر واحد



سي جمعة - قصة قصيرة - يوسف السباعي

32 مشاهدة • قبل شهر واحد



الأستاذ شملول - قصة قصيرة - يوسف السباعي

55 مشاهدة • قبل شهر واحد

الشيخ قطة
قصة قصيرة
يوسف السباعي
21:51

الشيخ قطة - قصة قصيرة - يوسف السباعي

36 مشاهدة • قبل شهر واحد



عبد ربه الصرماتي - قصة قصيرة - يوسف السباعي

47 مشاهدة • قبل شهر واحد



كتاب مسموع - من العالم المجهول - يوسف السباعي (كامل) كتاب مسموع

110 مشاهدات • قبل شهر واحد



الواد عطوة - قصة قصيرة - يوسف السباعي

34 مشاهدة • قبل شهر واحد

19:50

زكية الحنش - قصة قصيرة - يوسف السباعي

41 مشاهدة • قبل شهر واحد

22:20

حسن أفندي - يوسف السباعي - كتاب مسموع

74 مشاهدة • قبل شهر واحد



أم نجية - قصة قصيرة - يوسف السباعي

47 مشاهدة • قبل شهر واحد



المحظوظ والكرة - قصة قصيرة - كتاب مسموع

27 مشاهدة • قبل شهر واحد

13:45

على القبر - قصة قصيرة - عبد الحميد جودة السحار

33 مشاهدة • قبل شهر واحد

21:22

الضحية الرابعة - قصة قصيرة - الكتاب المسموع

29 مشاهدة • قبل شهر واحد




الانتقام الرهيب - قصة قصيرة - الكتاب المسموع

45 مشاهدة • قبل شهر واحد

20:00

إيمونز العجوز - قصة قصيرة - الكتاب المسموع

37 مشاهدة • قبل شهر واحد





مطاردة الاشباح - قصص قصيرة مترجمة - الكتاب المسموع

25 مشاهدة • قبل شهر واحد

نزيل الفندق - قصة قصيرة (كتاب مسموع)

60 مشاهدة • قبل شهر واحد



الفرار - قصة قصيرة

18 مشاهدة • قبل شهر واحد





كيف تقلع عن التدخين - قصة قصيرة (مسموع)

49 مشاهدة • قبل شهر واحد

ريتا المخلصة- قصة قصيرة

15 مشاهدة • قبل شهر واحد

26:26

لا تتزوج ساحرة - قصة قصيرة

27 مشاهدة • قبل شهر واحد



الامبراطور العجوز - قصة قصيرة

17 مشاهدة • قبل شهر واحد




البصل الاخضر -قصة قصيرة

10 مشاهدات • قبل شهر واحد

سعادة للبيع قصة قصيرة - ألبرتومورافيا

27 مشاهدة • قبل شهر واحد



الرضيع ألبرتو مورافيا

25 مشاهدة • قبل شهر واحد



شجرة المنزل - ألبرتو مورافيا - قصة قصيرة

21 مشاهدة • قبل شهر واحد

مدينة و إمرأة - قصة قصيرة

31 مشاهدة • قبل شهر واحد



المرأة و النهر و الرمل - قصة قصيرة

37 مشاهدة • قبل شهرين



أنا والليل وعازف الساكسفون

43 مشاهدة • قبل شهرين

إمرأة ذائعة الصيت - قصص قصيرة - ألبرتومورافيا

28 مشاهدة • قبل شهرين



الشباب و الشيخوخة - إيفان بونين - قصة قصيرة

20 مشاهدة • قبل شهرين



اللوحة - قصة قصيرة - ألبرتومورافيا

17 مشاهدة • قبل شهرين



البعض نحبهم - أقوال مأثورة

5 مشاهدات • قبل شهرين

الوردة- قصة قصيرة -ألبرتو موافيا

20 مشاهدة • قبل شهرين



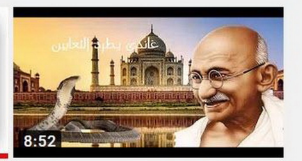


معركة في الحصن القديم

9 مشاهدات • قبل شهرين

ماري تقوم بأولى تجاربها

10 مشاهدات • قبل شهرين



غاندي يطرد الثعابين

14 مشاهدة • قبل شهرين



عباس العقاد هذه الوظيفة لا تليق بي

11 مشاهدة • قبل شهرين



ليو والشيء الأثمن من الذهب (كتاب مسموع)

15 مشاهدة • قبل 3 أشهر



جمال عبد الناصر من الذي يعشق الفقراء (كتاب مسموع)

10 مشاهدات • قبل 3 أشهر

إديسون و أصغر جريدة في العالم (كتاب مسموع)

18 مشاهدة • قبل 3 أشهر



نابليون يصيب الهدف (كتاب مسموع)

22 مشاهدة • قبل 3 أشهر



طه حسين الحلم الذي تحقق

19 مشاهدة • قبل 6 أشهر



عبد الكريم الخطابي الهرب إلى الجبال

40 مشاهدة • قبل 6 أشهر



فلورانس حاملة المصباح

40 مشاهدة • قبل 6 أشهر

عبد الحميد بن باديس لن أتعلم في هذه المدرسة

42 مشاهدة • قبل 6 أشهر




أبو الريحان البيروني قياس المسافات البعيدة

38 مشاهدة • قبل 6 أشهر



البيت الملعون

48 مشاهدة • قبل 6 أشهر



عبد العزيزبن سعود عبور الربع الخالي

15 مشاهدة • قبل 6 أشهر



شهاب الدين بن ماجد سأنقذ هذه السفينة

46 مشاهدة • قبل 6 أشهر



جابر بن حيان اكتشاف الذهب الحقيقي

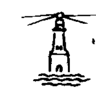
1.7 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر

كتابك ١٣٥

رئيس التحرير أنيس منصور

د. عبدالعزيز شرف

فن المقال الصحفى



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

فن المقال الصحفى

لعلنا نذكر المسيو جوردان ، ذلك البطل الثرى الجاهل فى مسرحية « موليير » المسماة : « الجنتلمان البورجوازى » ، ذلك أن جوردان هذا استأجر كثيراً من المعلمين ليعلموه فنون المجتمع الراقى ، وفى أحد المشاهد نجد جوردان يتلقى درسه الأول من أستاذ الفلسفة ولكنه يقاطع الدرس ملتمساً طلباً خاصًّا :

جوردان : أريد أن أفضى إليك بسر عظيم يقتضى الكتمان . إننى واقع فى حب سيدة من الطبقة الراقية وأريدك أن تساعدنى على أن أكتب لها رسالة أبثها فيها لواعج غرامى .

المعلم : حسناً .

جوردان : أريدها رسالة فى غاية الطرافة والكياسة .

المعلم : بكل تأكيد – وتريدها بالطبع شعراً ؟

جوردان : كلا . . كلا – ليس بالشعر

المعلم : إذن لا شىء سوى النثر؟

جوردان : كلا لا أريدها مكتوبة لا بالشعر ولا بالنثر .

المعلم : ولكن يا سيدى – لابد لها وأن تكون إما شعراً وإما نثراً .

جوردان : ماذا تعنى بذلك . .

المعلم : لأن كل شيء يا سيدى لا يكون نثراً فهو شعر ، وكل ما ليس بشعر فهو نثر .

جوردان : وعندما يتكلم المرء – فماذا يكون ذلك ؟

المعلم : ذلك نثر يا سيدى .

جوردان : ماذا تقول ؟ هل إذا ناديتُ خادمى وقلت له « أحضر خفى يا نيكول وناولنى قلنسوة النوم » – فهل هذا نثر ؟

المعلم : نعم يا سيدى

جوردان : حسناً . . حسناً . . حسناً . . إذن لقد ظللت أتكلم نثراً طوال فترة تزيد على أربعين عاماً وأنا لا أدرى شيئاً عن ذلك . . إننى شاكر لك جدًّا أن علمتنى ذلك » ! !

ولكن ما لم يعرفه السيد جوردان أن هناك ثلاثة مستويات للتعبير اللغوى :

أولها : المستوى **التذوقى الفنى الجمالى** ويستعمل فى الأدب والفن .

والثانى هو **المستوى العلمى النظرى التجريدى** ويستعمل فى العلوم .

والثالث هو **المستوى العملى الاجتماعى** العادى وهو الذى يستخدم فى الصحافة والإعلام بوجه عام . وهذه المستويات الثلاثة كائنة فى كل

مجتمع إنسانى ، والفرق بين المجتمع المتكامل السليم ، والمجتمع المنحل المريض هو فى تقارب المستويات اللغوية فى الأول ... وتباعدها فى الآخر.. فتقارب مستويات التعبير دليل على تجانس المجتمع ، وتوازن طبقاته ، وحيوية ثقافته ، ومن ثم إلى تكامله وسلامته العقلية ، فمن الثابت أن العصور التى يسودها نوع من التآلف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية ، هى غالباً أزهى العصور وأرقاها[١] .

وفن المقال الصحفى – تأسيساً على هذا الفهم – ثمرة من ثمار التقدم الحضارى ، فهو بطبيعته لا يزكو إلا فى بيئة يتكون فيها الرأى العام ، ويتقدم فيها العمل السياسى وتتصارع بها الآراء والاتجاهات ، وينتشر فيها التعليم ، وتنهض الفنون ، وتصبح الديمقراطية اتجاها مقبولا لدى الجميع ، وينتقل التفكير من الذاتية والأسطورية إلى الواقعية والموضوعية . . فإذا نظرنا إلى فن المقال الأدبى نفسه وجدنا أنه قد ظهر فى بيئة ملائمة لنشأته وجد فيها جوًّا صالحاً للنمو والازدهار ، فمن الثابت أن فن المقال قد رأى النور فى عصر النهضة الأوربية[٢] .

---

(١) د . إبراهيم إمام : دراسات فى الفن الصحفى ص ١٧١ .

(٢) Imam. I. The Language of Journalism (1969).

•

ماهية فن المقال

أطلق « مونتانى » على مقالاته اسم « المحاولات » Essay كأنه – على حد تعبير العقاد – يعتذر من ترسله فيها بغير تقيد بموضوع واحد أو تعمق فى التفكير ، وكانت المحاولة فى اصطلاح الفنانين هى معالجة صنع التمثال من مادة رخوة كالشمع وما إليه قبل صبه فى قوالب النحاس أو نحته من الرخام. فأراد « مونتانى » بمقالاته أن تكون محاولات « رخوة » من هذا القبيل ، وقصرها على الأحاديث المستخفة والتجارب الشخصية التى يتناجى بها الإخوان فى ساعات السمر وتزجية الفراغ .

فلما تناول « باكون » الكتابة المقالية أقل فيها من الناحية الشخصية وزاد فيها من الناحية الدراسية فأصبحت مقالاته أقرب إلى التركيز والإدماج منها إلى التبسط والفكاهة ، ولقيت مع ذلك رواجاً أى رواج ، ثم نشأت الصحافة فاستقرت المقالة فى مكانها الذى لا غنى عنه بنوع آخر من أنواع الكتابة الوجيزة ، بعد أن كانت محاولة مترددة بين القبول والإهمال .

« وانقسمت مواضيع المقالات على حسب الصحف والمجلات ، فما كان منها للتسلية والقراءة العامة فقد التزمت فيه طريقة مونتانى وتابعيه ، وما كان منها للدرس والقراءة الخاصة فقد غلبت عليه صبغة

الجد والإتقان . وقيل فى تعريف النمط الأول إنه أشبه شىء بحديث شخصى تفاجئه على غير انتظار . فهو مزاج من التفتح والحيطة العارضة على مسمع من المترقبين المتطلعين . . وقيل فى تعريف النمط الآخر إنه درس يلاحظ فيه تلخيص المطولات وتقريب المتفرقات ، وقد يبلغ الغاية من التركيز والإدماج »[١] .

ويذهب العقاد[٢] إلى أن « المقالة » ينبغى أن تكون « مشروع كتاب فى موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل ، فكل مقالة فى موضوع فهى كتاب صغير يشتمل على النواة التى تنبت منها الشجرة لمن شاء الانتظار » .

أما الدكتور جونسون ، فيذهب إلى أن المقال « وثبة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام ، وهو قطعة إنشائية لا تجرى على نسق معلوم ، ولم يتم هضمها فى نفس صاحبها ، أما الإنشاء المنظم فليس من المقال فى شىء » وفى تعريف آخر : « المقال هو الإنشاء المتوسط الطول ، يُكتب نثراً عادة ، ويعالج موضوعاً بعينه بطريقة بسيطة موجزة على أن يلتزم الكاتب حدود هذا الموضوع ، ويكتب عنه من وجهة نظره هو » .

لقد تواضع رجال النقد على أن يطلقوا كلمة « مقالة » على كل ضروب الكتابة النثرية إن قصر طولها وعالجت موضوعاً واحداً ، ويذهب « تشارلتن » إلى أن المقالة قد تكون نظماً ، ولذلك أمثلة قليلة ، نجدها

(١ ، ٢) العقاد : يسألونك ص ٦ ، ٧ .

فى العمود الشعرى ، ولهذا كان مدى التفاوت بعيداً جداً بين مختلف صنوف التحرير التى تقع تحت هذا الاسم ، فالبحث العلمى القصير مقالة ، كالرسالة العلمية التى كتبها « لوك » عن طريق اكتساب الإنسان للمعرفة وأطلق عليها « مقالة فى العقل البشرى » والقطعة الأدبية الفنية مقالة ، ومثال ذلك مقالات « لام » و « أيام » طه حسين ، وهذا النوع من المقالة لا يضيف إلى العلم الإنسانى علماً جديداً ولا يقدم للقارئ معرفة ، إنما يقصد إلى إمتاعه ولذته بما فيه من فن جميل ، وبين هذين الطرفين - المقال العلمى من ناحية والمقالة الأدبية من ناحية أخرى - تتفاوت المقالات درجات فى دنوها من هذا الطرف أو ذاك ، فمنها ما هو إلى العلم الخالص أقرب ، ومنها ما هو إلى الفن الخالص أقرب ، ومنها ما يجمع الغايتين معاً . على نحو ما نجد فى ، مقالات « ماكولى » التى يحاول فيها أن يكون مؤرخاً علمياً يتوخى الحق وصدق الرواية ، وأن يكون فناناً فى ألفاظه وعباراته فى وقت واحد[١] ، شأنه فى ذلك شأن طه حسين حينما يحاول فى مقالاته ما يحاول الخطيب بأسلوبه ، يظهر للناس كأنما هو يدير القول فى موضوع عقلى منطقى ، لكنه برغم ذلك لا يرجو أن يؤثر عليهم بحجته بقدر ما ينفذ إلى قلوبهم بقوة العبارة وحسن البيان . هذا عن المقال الأدبى ، أما المقال الصحفى فيرتبط بوسائل الإعلام ؛ التى تحتوى على ثلاثة أنواع رئيسية من **المضمون الإقناعى** .

---

(١) هـ . ب . تشارلتن (تعريب وشرح د . زكى نجيب محمود) فنون الأدب .

أولها : الإعلان وثانيها الدعوة المقصودة : كالمقالات الافتتاحية ، والرسوم الكاريكاتيرية والأعمدة والمقالات التفسيرية التى تؤدى بالقارئ إلى الوصول إلى استنتاج . وثالثها ذلك المضمون الذى يراد به أساساً ، الترفيه أو الإعلام بحيث يكون الإقناع منتجاً فرعيًّا محتملا .

ويذهب ريفرز وزميلاه فى كتاب « وسائل الإعلام والمجتمع الحديث » إلى أن المضمون الإخبارى لوسائل الإعلام قد يكون له تأثير أكبر فى الرأى العام من الإقناع الصريح ، بمعنى أن الأخبار قد تكون ذات قوة أكبر فى تشكيل الاتجاهات العامة من المقالات والأعمدة السياسية ، والأخبار تسجل الأحداث ، وقد تغير الأحداث التى تقدمها الصحيفة عقولا أكثر مما تغيره الدعاية .

ويقدم هودلى كانتريل فى كتابه « قياس الرأى العام » قاعدة عامة تقول : « إن الرأى يتحدد عموماً بالأحداث أكثر مما يتحدد بالكلمات -- ما لم تفسر هذه الكلمات ذاتها على أنها حدث » ويضيف « ريفرز » إلى ذلك ، أن الأحداث تنزع إلى ترسيخ تغيرات الرأى العام الناتجة عن الكلمات ، وقد يكون التغير فى الرأى قصير العمر ، ما لم تسانده بعض الأحداث .

ولكن هذه القواعد العامة -- كما يذهب إلى ذلك برنارد بيرلسون -- تستدعى تعليقين : أولهما أنه يكون من الصعب التمييز بين الأحداث والكلمات . فهل الخطاب الهام الذى يقدمه رئيس الجمهورية حدث أم

مجرد كلمات ؟ وثانيهما : أن كثيراً من الأحداث لا تحدث تأثيرها نتيجة حدوثها فحسب ، وإنما بمعاونة من الكلمات أيضاً ، أى أن أهمية الحدث فى إقناع الجمهور قد تشحذ كثيراً من خلال التفسيرات التى يقدمها معلقو التليفزيون ، وكتاب المقال الصحفى .

وتأسيساً على أن التفكير ظاهرة اجتماعية سنحاول فى هذا البحث دراسة المقال الصحفى بين فنون القول ، الأمر الذى يقتضينا بداءة أن نجتهد ما استطعنا فى تحديد بيئة المقال الصحفى ، لنتعرف من بعد على مقوماته ، ودراسة هذه البيئة الصحفية تقتضى العناية بدراسة : البيئة المصرية والحيوات السياسية والاجتماعية والفكرية .

بيئة المقال الصحفى فى مصر

« إن المجتمع الحديث لا يقع فى مجال الرؤية المباشرة لأحد ، كما أنه غير مفهوم على الدوام ، وإذا فهمه فريق من الناس ، فإن فريقاً آخر لا يفهمه » .

هذا القول للكاتب الأمريكى « ولتر ليمان » يشير إلى وظيفة المقال الصحفى فى الشرح والتفسير والتكامل ، حيث يصبح حلاً لصياغة المعرفة بطريقة عملية واقعية ، الأمر الذى يجعل من كتاب المقال الصحفى وسطاء اجتماعيين بين الخبراء المتخصصين من ناحية ورجل الشارع من ناحية أخرى .

ذلك الفن الصحفى – على حد تعبير الدكتور إمام – فن حضارى بالضرورة ، فإذا كان الشعر مثلا يزكو ويزدهر فى البيئة البدوية ، حيث تسود الحضارة الشفوية ، فإن الفن الصحفى الذى ينتظم فن المقال فى أعطافه – على العكس من ذلك . فالبيئة المحدودة تكتسب فيها المعرفة بالتجربة المباشرة والشخصية ، لأنه إذا كان جميع أفراد مجتمع من المجتمعات معدين ليفهموا بالتجربة المباشرة ما يجرى من أحداث فإن الطرق العادية للاتصال الشخصى تكفى لنشر الأخبار وتفسيرها فى هذا المجتمع ، ولا يحتاج الأمر لأية وسيلة من وسائل الإعلام الحديثة .

ولكن المجتمع الذى يزداد نموه ، وتتنوع تخصصاته ، وتتعقد مشكلاته ، لا يلبث أن يجد فى فن المقال الصحفى ضرورة حتمية لمواجهة المعادلة الصعبة صياغة المعرفة بطريقة عملية واقعية .

إن فجر الضمير قد بزغ من مصر - كما يقول المصرولوجى « جيمس هنرى برستد » - قبل أن تتهيأ للمجتمعات الإنسانية الأخرى عوامل التجمع والاستقرار .

وكان لطابع البيئة ما مهد للإنسان فى مصر عوامل التجمع والوحدة الشاملة والاستقرار الدائم ، ثم كانت هذه الحضارة الزاهرة التى سبقت حضارات العالم أجمع نتاج التفاعل الدائم بين البيئة والإنسان ، فقد واتت الطبيعة هذه البيئة المصرية من العوامل ، ما جعلها مسرحاً صالحاً لأن تثمر فيه جهود الإنسان فى بعث حضارة وطيدة اتصلت حلقاتها ، فاستطاعت أن تغالب الدهر وتبقى على الزمن وهى فى مسارها لم تفقد يوماً صلتها بماضيها ، واحتفظت بمقوماتها جلية بارزة . وفى مقدمة هذه المقومات ثلاث ظواهر كونية كبيرة تصلح فى ذاتها مجتمعة لتكون شارة أو رمزاً للوطن المصرى وهذه الظواهر الكونية الثلاثة مرتبطة ومتفاعلة ، وهى لا تبرز فى موضع بروزها ، فى هذا الموضع الفريد ، فى ملتقى القارات الثلاث ، وعند مجمع البحرين وبين صحراوين عظيمتين ، فى موقعها الفذ من أفريقية وبين أوربا وآسيا ، تحرس مدخل البحر الأحمر ، وتشارك فى توجيه الحياة فى البحر المتوسط ، وتشع الحضارة

إلى مدى بعيد فى كل اتجاه . على حد تعبير د . عبد الحميد يونس الذى يقول إن أول هذه الظواهر الكونية الكبيرة الثلاث هى الشمس التى تكاد تبدو سافرة النهار بطوله على مدى العام ، ولا ترمد منها إلا قليلا ، ومن هنا قدسها المصريون الأقدمون وقاسوا عليها فترات الزمن فى اليوم ، ومن السنة فصولا محددة . وجعلوا من ذلك كله تقويماً من أدق التقاويم ، ثم فطنوا بعد ذلك إلى تأثيرها فى الأشياء والأحياء وجعلوها رمز الحياة ، وقبسوا منها الوضوح والبساطة ، وعدم التعقيد ، والنظام والاستقرار ، وهى الصفات التى تمثلها المقال الصحفى فى مصر ، إلى جانب وظيفة «التقويم» الصحفى التى تميز بها ، والتى تستمد من هذه الظاهرة الكونية التى اتخذها المصريون رمزاً «للضمير» وجعلوها «سفينة الملايين» تطل منها عين تميز بين الخير والشر فيما يصدر من الناس من أفعال وحركات . ولا يزال المصريون يتأثرون هذه الظاهرة الكونية فى فطرتهم ، وفى وجداناتهم وفى أخلاقهم ، نراها حين يلقى الصغار بأسنانهم فى عين «الشموسة» وفى غير ذلك من تصرفات يأتيها البعض .

وثانية الظواهر الكونية الكبيرة : الرمز الخالد على مصر . . . يدل عليها ، ويقترن اسمها به دائماً ، لأنها قطعة منه . . إنه هذا النهر العبقرى الذى لا نظير له بين أنهار العالم جميعا من طوله ، وانتظام فيضانه ، واستقامة مجراه وعرف المصريون فضله عليهم ، ومكانه منهم فقدسه قدماؤهم ، كما فعلوا مع الشمس ، وأخذ المصريون عن النيل دأبه

ومثابرته ووفاءه ونزوعه المستمر إلى البناء والنفع والخير بلا تفريق ، بل أخذوا عنه خصلة تكاد تكون من أمهات خصالهم وهى النزوع الدائم إلى الوحدة القومية . على نحوما نجده فى نزوع المصريين إلى التوحد منذ جعلوا من « أوزوريس » رمزاً للخير والعلم والنفع .

وإلى جانب هذه السمة البارزة المكتسبة من النيل ، سمة النزوع الأبدى إلى الاتحاد القومى ، نجد مقوماً آخر لا يقل عنها خطراً هو أن اختيار النيل لمجراه بين هاتين الصحراوين العظيمتين الشاسعتين جعل الموطن المصرى يحتفظ بأهله ، وجعل الجاذبية البشرية إلى الداخل ، الأمر الذى يجعل العناصر التى تفد إليه ، تنطبع إذا استقرت بالطابع المصرى ، فـ« التمصير » صفة أساسية من صفات البيئة المصرية التى لا تقاوم ، وعلى ضفاف النيل نبتت آلة الحضارة الأولى . وهى ورق البردى ، وأقلام القصب ، فكتب المصريون ووصلوا بين آحادهم ، وسجلوا أعمالهم ، وثبتوا تصرفاتهم ونظموا أملاكهم وربطوا بين الجيل الشاخص والجيل الذى سبقه والجيل الذى بكر بعده ، فتواصلت المعرفة وانتظمت الحياة وكانت خلة « الاستمرار » المتجدد أبداً ميزة من ميزات النيل التى لاتعد . فكانت مصر أمينة على تراثها ، ولم تكن سلفية خالصة ، ولا ثابتة جامدة ، ولا رجعية تستقبل الحياة بظهرها ، وإنما كانت مستأنية فى تطورها ، مثلها فى ذلك نيلها فى حركته الدائبة فى أناة ، وإذا وضع فى طريقها حاجز ضخم فعلت به ما يفعل النيل ،

فسارت فيه أوحطمته . وهذه الصفة « الاستمرارية » هى التى تميز عناصر الأصالة وعناصر التجديد فى المقال المصرى ، من خلال تمثلها كذلك للظاهرة الكونية الثالثة فى مصر ، والتى جعلتها تميل إلى الاستقرار . وإن لم تعزلها عن العالم حولها ، وهذه الظاهرة هى الصحراء التى تمتد عن يمين النيل وعن شماله ، والتى أسبغت على الوطن المصرى صفة المحافظة على التراث المادى الشاخص ، وبفضل هذا الموقع أصبح الوطن المصرى نقطة الارتكاز فى العالم العربى . كما اتصل العقل المصرى بالعقل اليونانى منذ عصوره الأولى ، اتصال تعاون وتوافق وتبادل مستمر منظم للمنافع ، فى الفن والسياسة والاقتصاد . وكان اليونانيون فى عصورهم الأولى يرون أنهم تلاميذ المصريين فى الحضارة وفى فنونها الرفيعة بنوع خاص ، كما يذهب إلى ذلك طه حسين .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فإن القول إن البيئة المصرية أصلح البيئات لنشأة فن المقال ، ونموه وازدهاره ، قول لا يصدر عن نعرة قومية ، بقدر ما تكون دوافعه من طبيعة هذه البيئة ومقوماتها أساس كل اعتبار ، فالمصريون من أشد الناس اهتماماً بالسياسة وتتبعها واستطلاع أخبارها وما جرياتها ، والبصر بمداخلها ومخارجها ، وكانوا منذ القديم من أشد الأمم شغفاً بأحاديث الدول وعناية باستطلاع الحكومات ، وقد يسرى بينهم شعور ملهم بدخائل الأغراض الخفية واتجاه الخير واتجاه الشر فى الخصومات السياسية ، لما تعاقب عليهم من التجارب وتوالى على

أسماعهم من أحاديث الصاعدين والهابطين والمقبلين والمدبرين على حد قول العقاد . وفى هذا الميل القديم ما يهيئ البيئة المصرية حين تقبل المطبعة لتحدث ثورتها فى الاتصال بالجماهير . إلى تقبل الفنون الصحفية وإنهاضها وإنمائها ، وفقاً لفطرة أصيلة من مورثات الحضارة القديمة فيها .

وفى هذه البيئة المصرية نتلمس عناصر الأصالة فى فن المقال الصحفى فى مصر ، فى رافدين كبيرين : أولهما الرافد المصرى الذى لونته البيئة المادية منذ عصر ما قبل الأسر إلى دخول العرب . وبقيت منه خصائص فيما صدر عن مصر الإسلامية إلى أوائل النهضة الحديثة . والرافد الثانى : عربى ، يحمل فى أعطافه خصائص الأدب العربى من ناحية وبعض المأثورات من الحضارات التى مد الإسلام عليها سلطانه من ناحية أخرى ! ولقد « تمصرت » هذه العناصر كلها حتى اتضحت فى عصر النهضة الصحفية الحديثة وما صدر عنها من آثار مقالية .

فإذا كانت الوظيفة الاجتماعية هى التى تخلق مبررات ظهور الصحافة وقيامها على أداء تلك الوظيفة فإن أوراق البردى التى اكتشفها « فلندرز بترى » والتى يرجع تاريخها إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد توضح مدى اهتمام المصريين القدماء بإثارة ميول القراء ، وجذب انتباههم . فإذا اختلف المؤرخون حول المكان الأصيل الذى نبتت فيه

الصحافة أول مرة ، وسايرت تطور الإنسان وتقدمه من البدائية إلى الاستقرار إلى التحضر ، فإن ذلك لا يحول دون اتفاقهم على أن مصر قد عرفت الصحافة بهذا المفهوم منذ سبعة وثلاثين قرناً . فهناك وثيقة يرجع عهدها إلى سنة ١٧٥٠ قبل الميلاد تدل على وجود جريدة رسمية تنطق بلسان الحكومة ويكتب فيها الوزير « رخمارا » مقالات تبين اتجاهات الحكومة . ومن العجيب أن ورق البردى انقرض من العالم وحلت محله هذه الأوراق التى تجمعها الكتب بين دفتيها ، وذهب النسخ وجاءت المطبعة ولا يزال الاسم الذى أطلق على ورق البردى papyrus هو الأصل الذى اشتقت منه الأسماء التى تطلق على الورق والصحف فى اللغات الغربية . فورقة البردى التى سميت « بيس » بدار الكتب الأهلية بباريس ، تعد - كما يقول « جوستاف لوبون » - أقدم من أشعار هوميروس وأقدم من كتب التوراة ، يرجع عهدها إلى الأسرة الثانية عشرة ، ففيها إذن ما خطته الأقلام منذ خمسة آلاف من السنين .

ومن ذلك تبين لنا قيمة هذه الوثيقة العريقة والتى حملت اسماً ذا دلالة حديثة فى لغة الحضارة « presse » إلى جانب ما توحى إليه من جذور مقالية فى التراث القديم ، إذ تضمنت مقالاأخلاقيًّا ألفه « كاكمنا » فى حكم الملك سنيفرو من الأسرة الثالثة ، ومعلومات فتا حوتب التى ترجع إلى الأسرة الخامسة . وإلى جانب هذه الوثيقة عرفت مصر لوناً من صحافة الرأى فى النقد والتوجيه والمعارضة ،

كالصحف التى ناوأت الملك رمسيس الثالث . كما عرفت المقال النزالى فى صحفها « الهزلية » التى تناولت بالنقد الشديد والتهكم المر فراعنة مصر ، على النحو الذى اتجهت إليه « صحيفة القصر » .

فالدارس للنماذج المقالية الباقية من مصر القديمة يلاحظ أنها تقوم على تقاليد مكينة وعريقة ، ذلك أن المقال المصرى يرتبط بشغف المصريين بتعلم الآداب ، فجاءت مقالاتهم ثمرة رقى طويل فى طرائق الكتابة للجماهير ، وطرقت موضوعات أخلاقية واجتماعية وفكرية وسياسية ، وقد لا يكون منتجاً أن نتقرى أوجه الشبه أو وجوه الاختلاف بين الشكل القديم للمقال المصرى ، والشكل المحدث فى صحافتنا اليوم ، وإن كان هذان الشكلان يلتقيان ويفترقان ، فقامت النماذج القديمة بوظائف المقال ، حين اقتربت منه فى تنوع الموضوع ، وحينما ذهبت معه لتخاطب الجماهير ، فتميزت بسلامة الفكرة وسذاجة التعبير ، وإن كانت قد اتجهت مع التقدم التاريخى إلى التأنق والتكلف فى الأسلوب والتعقيد فى الأفكار وخلو الكتابة من الروح كما يحدث فى عصور الانحطاط دائماً[1] ، وكما حدث فى العصر العثمانى من بعد .

ومهما يكن من شىء ، فقد فرضت البيئة المصرية على المصرى ذهناً عمليًّا واقعيًّا ، سهل المنطق واضح فى نظرته إلى الدنيا وحكمه على الأشياء والناس ، شأنه فى ذلك شأن أبناء الأمم الزرا ـة عامة[2] ،

---

(١) جوستاف لوبون : الحضارة المصرية ص ٢١٠ . (٢) العقاد : سعد زغلول .

وهذا الذهن العملى هو الذى يبدع الفن الصحفى ، باتجاهه العملى وبلغته العملية الواقعية وهو على ذلك أصلح الأذهان للإبداع فى فن المقال الصحفى على ما تعرفه اليوم .

وإذا كانت بذور الأدب المقالى قد وجدت فى الحضارة المصرية القديمة ، فإن هذه البذور فى الأدب العربى الذى تمثله مصر الإسلامية من بعد ، توجد فى « الأمثال وجوامع الكلم »[١] وذلك شأن الأمم فى بداوتها ، فالمثل قريب بطبيعته وصياغته من فن المقال التى أراد لها « مونتانى » أن تكون صورة صادقة عن إحساسه بالحياة وتأمله لها ، لا يلحقها أى تشذيب أو تصنع[٢] . وذلك ما نجده عند العرب قبل الإسلام ، وذلك أنهم كانوا أمة شعر ، لها حياتها الاجتماعية والسياسية الخاصة[٣] . فلما جاء الإسلام تغيرت هذه الحياة الاجتماعية والسياسية وحل محلها نظام جديد ، فأخذ العرب فى هذا العصر الجديد يفكرون ويروون ، وظهرت أمامهم مسائل ومشكلات جعلتهم يفكرون ويتلمسون لها الحلول ، الأمر الذى أدى إلى تغير موضوعات التفكير وأسلوب التعبير ، فنشأ النثر الذى يعبر عن المعانى بدون القيود الشعرية[٤] .

ومن ذلك تبين أن التراث العربى القديم فى عصره الأول لم يعرف

---

(١) ، (٢) الدكتور محمد يوسف نجم : فن المقالة ص ٨ ، ٩ .

(٣) ، (٤) د . طه حسين : من حديث الشعر والنثر ص ٢٣ ، ٢٤ .

المقال بمعناه الاصطلاحى لدينا ، ذلك أن المدلول الحسى لهذا اللفظ هو « القول » فإذا ذكر النابغة فى معلقته وهو يعتذر إلى « النعمان » ويحاول أن يرد التهمة التى ألصقت به ، وأن يقذف بها أعداءه :

مقالة أن قد قلت : سوف أناله
وذلك من تلقاء مثلك رائع »

فإنما هو يعنى : **القول** . وإذا قال الجاهلى أو العربى بعد الإسلام : هذه **مقالة صدق** ، فإنما يريد ما نريده اليوم من تعبيرنا : هذا قول صادق أو حق .

من ذلك قول الشاعر :

« مقالة السوء إلى أهلها   أسرع منْ منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذَمّه   ذموه بالحق وبالباطل »

ولا نقع فى القرآن الكريم ، ولا فى الحديث الشريف ، ولا فيما أبقت لنا هذه الفترة المبكرة الأولى على غير هذا الاستعمال لهذه اللفظة . فالمقال إذن فى صميم هذا الاستعمال العربى ، «كلام شفوى يرتبط بالنطق ، فإذا ذكرنا المقال بعد ذلك فى العصور التى ازدهرت فيها الثقافة العربية وفى هذه العصور التى نحياها أو أطرافاً منها »[1] ؛ وأنه يعنى الكلام المكتوب ، أدركنا أضخم الفروق التى طرأت على استعمال هذا اللفظ بين القديم والجديد ، ذلك أن هذا اللفظ كان « فى حياتنا الثقافية

---

(١) د . شكرى فيصل : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق جـ ٤ م٤٧ رمضان ١٣٩٢ هـ .

بهذا المفهوم ، جزءاً أصيلاً من هذه الثقافة ، التى كانت تعتمد فى أكثرها على الرواية ، فكانت المقالة كلاماً منطوقاً »[١] ولم تلبث فى عصور التدوين أن اتخذت شكل « الرسائل المقالية » التى يذهب بعض مؤرخى الصحافة إلى أنها مع التجوز القليل ، صحافة كاملة بالنسبة للعصور التى ظهرت فيها ، وهذه الرسائل المقالية تشكل عنصراً هاماً من عناصر الأصالة فى المقال العربى بصفة عامة ، وإن كان مدلول هذه الرسائل المقالية لا يخرج عن الأشكال التى تشكلت بها الرسائل فى الاتجاه نحو الذات كما نجد فى الرسائل الإخوانية وفى الاتجاه نحو المذاهب المختلفة كما فى رسائل الأشعريين والمعتزلة[٢] .

ولكننا نجد فى هذه الرسائل المقالية على العموم نواة لفن المقال فى الاتجاه نحو الفكرة سياسية أواجتماعية كما فى رسائل الجاحظ ، الذى يعتبر - كما يقول الدكتور إبراهيم إمام - أول صحفى ممتاز لو أنه عاش فى القرن الذى نعيش فيه .

ومن ذلك يبين صدق ما يذهب إليه العقاد من أن العرب عرفوا المقالة مع « الفصول » و « المقامات » . . كما يذهب الدكتور محمد عوض محمد إلى أن الكتاب العرب فى العصور الأولى كانوا يؤلفون قطعاً من النثر يسمونها « مقالات » .

(١ و ٢) د . شكرى فيصل : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق جـ ٤ م ٤٧ رمضان ١٣٩٢ هـ .

وتأسيساً على هذا الفهم للبيئة المصرية – فرعونية ، وإسلامية – نلاحظ أنها بيئة مهيأة لهذا المقال الصحفى الحديث ، لما يتسم به المصريون من وحدة قومية وأصالة دينية ، صبغتا المقال المصرى بصبغة تميزه بين فنون المقال المدونة بالعربية فى أقطار أخرى ، ذلك أن المقال المصرى إلى جانب ذلك يتمثل **الروح المصرى والذهن العملى** الذى يتيح له « لغة عملية تمتاز بالبساطة والوضوح والإيناس واللطف والرشاقة » وهى اللغة المستفادة كذلك من « **لطف** » **الشخصية المصرية** الذى عرفت به بين جيرانها ، كما عرفت « بالتنكيت » فى الزمن القديم والحديث كما يقول العقاد .

وحين نتفق على ارتباط الشخصية الفردية بالشخصية العامة ، فإن القول إن البيئة المصرية من أصلح البيئات لفن المقال الصحفى قول صحيح ، يرتبط **باكتشاف الكتاب المصريين وطنهم** ، تأسيساً على أن الاتصال النفسى بين الشخصيتين هو أساس الإبداع الحضارى ، الذى يمثل المقال الصحفى مظهراً من مظاهره ، ولذلك يذهب طه حسين إلى أن « الشعب المصرى أول من كتب بالقلم » واتخذ الحروف رمزاً للكلام الذى يؤدى عن القلوب والنفوس والعقول ما يثور فيها من العواطف وما يضطرب بها من الأهواء وما يخطر لها من الآراء » ، ويتمثل المقال بيئته المصرية التى تضم وطناً خالداً ثابتاً سعيداً تختلف عليه الأزمنة وما تحمل من الخطوب والصروف ، فلا يتغير ولا يمضى مع الزمن ،

ولكنه ثابت مقيم ، مبتسم ، دائماً ، تشرق شمسه الحلوة الهادئة كل يوم فتبعث الحركة والحياة فى كل شيء ، وفى كل إنسان ، ويجرى نيله القوى الرزين فيبعث الحركة والحياة فى كل شيء وفى كل إنسان . وتمثل ذلك جميعاً فى المقال المصرى ، بحيث لا يفكر « فى عروبة مصر أو فرعونيتها ، فذلك شيء لا يفكر فيه المصريون إلا حين يريدون أن يتحدثوا فى العلم ، أو فيما يشبه العلم من الحديث ، وأما مصر التى تملأ قلوب المصريين وتدفعهم إلى الأمل والعمل دفعاً فهى فوق الفروض جميعاً ؛ وهى فوق الاحتمالات جميعاً ، وهى فوق علم العلماء ، وبحث الباحثين وفلسفة الفلاسفة » على حد تعبير طه حسين .

وهذه البيئة المصرية هى التى تحدد مهمة المقال الصحفى فى مصر فى تحقيق « صلة ثقافية بأدق معانى هذه الكلمة وأرفعها بين الشعوب العربية أولا وبين هذه الشعوب وأمم الغرب ثانية » على حد تعبير طه حسين أيضاً .

الاتصال بالحضارة الأوربية

على أن موقع هذه البيئة المصرية ، الذى أتاح لها أن تمتاز بين بلاد الشرق الأدنى بثروتها وقوتها وثقافتها . أتاح لها أن تقوم بمهمة التوسط بين الشرق والغرب فى شئون الثقافة والسياسة والاقتصاد ، فإذا كان فن المقال بمفهومه الحديث يرتبط بتاريخ الصحافة ارتباطاً وثيقاً ، فإن عوامل كثيرة قد تضافرت على النهوض به ، منها انتشار التعليم الحديث ، ثم العمل على إحياء التراث العربى القديم ، ومنه كذلك عناية المستشرقين باللغة العربية وآدابها ثم انتشار الصحافة فى الشرق العربى .

فالمقال الصحفى فى مصر يرتبط بانتهاء عصر الوقوف والركود واستئناف الاتصال بين العالم العربى والعالم الأوربى فى أواخر القرن الثامن عشر ، والقرن التاسع عشر ، ثم دقة هذا الاتصال وتنظيمه فى هذا القرن الذى نعيش فيه . حيث ألغيت المسافات الزمنية والمكانية وأصبح الاتصال فى كل لحظة ظاهرة من الظواهر الطبيعية للحياة المألوفة .

على أن هذا الاتصال بالحضارة الأوربية قد فرض طابعه على جانب هام من جوانب التطور الفكرى والاجتماعى الذى يشمل الصحافة فى أعطافه ، وأخذ امتداد هذا التيار الأوربى يهز القيم والتقاليد القديمة هزًا

عنيفاً لا يبلغ حد الثورة على تلك القيم والتقاليد وإن كان يرمى إلى التوفيق بين القديم والجديد فى إطار من تراث الآباء والأجداد والحضارة العربية الأصيلة . ذلك أن الثقافة فى مصر فى نهاية القرن الثامن عشر– برغم ما كانت عليه من جمود وانحطاط كانت ثقافة متجانسة لا تعانى من ازدواج أو صراع . حتى إذا استيقظ المصريون على صوت مدافع بونابرت فى سنة ١٧٩٨ غازياً البلاد تحدث مواجهة فعلية بين ثقافتين وحضارتين مختلفتين على الرغم من اشتراكهما فى الأصول والمنابع الأولى إلى حد كبير .

وقد انعكست الصورة المترسبة عن عصور الانحطاط على فن المقال الذى اتسم « بالجمال الفنى فى الكلام » وقنع بما كان بينه وبين الأدب العربى المنحط من صلة ، على أن اصطدام المصريين بغيرهم من الأمم قد أذكى فى نفوسهم وفى نفوس هذه الأمم جذوة الأدب والفن والعلم . فما هى إلا أن انتهى القرن التاسع عشر – كما يقول طه حسين – حتى كانت الحياة الغربية قد وصلت إلى طائفة من الناس فأثرت بعض التأثير فى عقولهم ، وعجزت عن أن تؤثر فى شعورهم وعواطفهم ، فكانت حياة عقلية فيها شىء من الجدة ، وفيها ميل إلى الخروج على القديم ، وكان اندفاع يختلف قوة وضعفاً إلى العلم باختلاف الظروف وأطوار الحياة الفردية والاجتماعية ، وأنشئت مدارس وظهرت صحف ، وترجمت كتب ، ولكن الأدب ظل كما هو قديماً أو متين الاتصال بالقديم . على

أن مسار التطور فى أساليب التعبير ؛ لا ينفى أن الحملة الفرنسية قد « فتحت أعين الشرق على مواطن عجزه ونقصه ، وعلمته قهراً ما كان يأبى أن يتعلمه باختياره ، فأدرك حاجته إلى التغيير العاجل » كما يقول العقاد ، ولعل من أهم ما جاءت به هذه الحملة أنها أتت إلى مصر بالمطبعة العربية ، التى أخذت تحدث فى « مصر والشرق أثراً كالذى أحدثته فى أوربة إبان النهضة الأوربية منذ قرون » على حد تعبيرطه حسين ، ومن أهم هذه الآثار أن هذه الحملة قد جاءت لتمهد لانفصال القومية عن العالم الإسلامى ، وهو الأثر الذى ننظر إليه فى إطار الارتباط بين ظهور المقال الصحفى الأوربى وظهور القوميات المنسلخة عن العالم المسيحى الموحد . فنجد أن فن المقال الصحفى فى مصر كذلك جاء هو الآخر مرتبطاً بحركة الانفصال عن الخلافة العثمانية[١] . التى ارتبطت فى أذهان المصريين بالتخلف الذى جعلهم يتجهون إلى فكرة التقدم العصرى الذى سبق إليه القوم بعلوم ابتكروها ، أو بعلوم اقتبسوها منا ، وآن لنا أن نردها إلينا [٢] ، فلم يمض جيل واحد بعد الحملة الفرنسية حتى ظهر « **الرجل المثقف** » فى البيئة المصرية ولم تخل منه بيئة من بيئات التقليد والرجعة إلى القديم ، وهى على عادتها فى الأزمنة المختلفة أعدى أعداء التحول والتجديد[٣] .

---

(١) د . إبراهيم إمام : دراسات فى الفن الصحفى ص ١٧٤ .
(٢ ، ٣) العقاد : نفس المرجع ص ١٣ .

وأظهره ما كان من الرجوع إلى الأدب القديم ، وإحيائه بالنشر والإذاعة أولا ، ثم بالتقليد والمحاكاة ثانياً ، وما كان من تعلم بعض اللغات الأجنبية وقراءة ما ينتج فيها من الآثار ، وترجمة بعض هذه الآثار إلى اللغة العربية فى غير نظام ولا اطراد ، وما كان آخر الأمر من الإعراض عن الحياة المادية القديمة والإقبال على الحضارة المادية الحديثة ، واستعارة النظم السياسية والاقتصادية والإدارية والعسكرية والقضائية من أوربا ، ثم العدول عن العلم الموروث بعد ذلك إلى العلم الحى الحديث ومناهج تعليمه الحية المستحدثة ، وإقرار هذا كله فى المدارس والمعاهد العربية والمصرية .

ونتيجة لهذا الاتصال بالحضارة الأوربية تغيرت خصائص كثيرة من خصائص النفس العربية واضطرت إلى أنحاء من التصور والتصوير لم تكن مألوفة من قبل . وأخذ عنصر التطور يعمل من جديد فى طريقين متعاكسين ، فقد كان الإحياء للقديم يدفع العقل العربى الحديث إلى وراء ويقوى فيه عنصر الثبات والاستقرار ، كما كان الاتصال بالثقافة الأوربية وحضارتها يدفع العقل العربى إلى أمام . ويقوى فيه عنصر التطور والانتقال . على حد تعبير طه حسين .

وألقت هذه الصورة على الصحافة مهمة الاستمرار بعنصر التطور والانتقال فى تقدمه واطراده ، وعاونت العقل العربى على الثبات لهذا التعاكس العنيف ، ذلك أنه كان يخشى فى أواسط القرن الماضى وفى

أوائل هذا القرن ، أن يتم التقاطع بين هذين الاتجاهين ، فيذهب فريق من « المتأدبين إلى وراء من غير رجعة ، ويذهب فريق منهم إلى أمام فى غير أناة » ويضيع العقل المصرى والعربى بين هذين الطريقين المتعاكسين كما يقول طه حسين كذلك . . ولكن الصحافة المصرية ثبتت لهذه المحنة واستفادت منها ، فكانت الترجمة كضرورة صحفية مظهراً من مظاهر تغذية المجتمع بالجانب المشرق من الثقافة الغربية ، فأسهمت هذه الضرورة فى تحرير النثر الصحفى وغير الصحفى من أغلال الصنعة الموروثة عن عصور الانحطاط ، كما جنحت به إلى السهولة والاهتمام بالمعانى والدقة فى التعبير على النحو الذى نراه فيما بعد فى « مدرسة الجريدة » ، وصحافة المدرسة الحديثة بصفة عامة ، التى عالجت المقالة الأدبية والمقال الصحفى وأفادت من الدراسات النفسية والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية فى مضمون المقال .

فالاتصال بالحضارة الأوربية وثقافتها إذن قد أسهم فى تطوير مضمون المقال الصحفى وفنونه من بعد ، على النحو الذى تشير إليه خريطة التطور فى المقال المصرى ، ابتداء من الصحفى رفاعة الطهطاوى الذى يمثل بداية الالتحام بين الثقافتين ، ومروراً بكتاب هذا المقال من العلمانيين وغيرهم كالدكتور يعقوب صروف الذى جعل من « المقتطف » نقطة تحول فى الفن الصحفى فى محاولاته الأدبية والاقتصادية والسياسية ، ومقارناته بين كتابات « سبنسر » فى علم الاجتماع الإنسانى

ومقدمة ابن خلدون كما يذهب إلى ذلك د . إمام . وليس من قبيل المصادفة أن يكون جمال الدين الأفغانى ويعقوب صنوع ومحمد عبده ومصطفى كامل وأحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل وطه حسين وعباس العقاد من رواد الصحافة الذين استقامت لهم طريقة تحقق فيها التوازن الصحيح بين القديم والجديد ، فاحتفظ المقال الصحفى على أيديهم بأصوله التقليدية الأساسية ولم يستعص على التطور ، فاستطاع هؤلاء بجهودهم الرائعة أن يخلقوا لغة الفن الصحفى العربى التى تقترب من لغة الأدب وتمتاز بالسلاسة والواقعية والتبسيط [١] . ذلك أن هؤلاء الكتاب المقاليين قد قبلوا من الثقافات الأجنبية الحديثة مثل ما قبل العقل العربى من الثقافات الأجنبية أيام العباسيين . واستحدثوا من الفنون ما يلائم العصر الحديث ، كما استحدث من الفنون ما كان يلائم عصر العباسيين كما يذهب إلى ذلك طه حسين . وأول مظهر لهذا هو أن المقال الصحفى على يد هؤلاء قد اتخذ اللغة العربية له لساناً ، وعرض كثيراً من الاتجاهات السياسية والثقافية والاجتماعية فى لغة عربية واضحة ، كما يعرض فى اللغات الأجنبية المختلفة .

وتأسيساً على هذا الفهم ، للاتصال الحديث بالحضارة الأوربية ، نجد أن العوامل التى طورت المقال الصحفى عما كان عليه فى صحافة النشأة فى مصر ، وخلصته من المماحكات اللفظية قد اطرد نموها ،

---

(١) د . إمام : نفس المرجع ص ٤٤ .

وتضافرت على توجيهه وجهة أخرى غير الوجهة التى رأيناها عند السلفيين فى صحافة النشأة . وخلاصة ما يقال فيها أن حركة التجديد فى الصحافة قد وليت حركة اليقظة فى أوجها عند الأستاذ الإمام . وسارت فى توازٍ مع مسار الحركة الوطنية . وقد أدت هذه العوامل إلى ظهور نوع جديد من أدب المقالة ، وهو المقال السياسى ، وقد برع الكتاب فى المطالبة باستقلال الشعب وإزاحة الاستعمار عن كاهل المصريين واتسعت دائرة المقال وتعددت ألوانه فظهرت المقالة الأدبية والمقالة الاجتماعية والمقالة النقدية .

وليس من شك فى أن الصحافة صاحبة الحظ الموفور فى نشر الأدب والعلم وإنشاء النثر الحديث ونعنى بالصحافة ما يذهب إليه طه حسين ، من أن الصحافة كلها – يومية وأسبوعية وشهرية – قد استطاعت هذه الصحافة المصرية أن تؤثر فى الأدب من طريق السياسة ومن السعى إلى السياسة .

الحياة السياسية

ومهما يكن من شيء فقد ساعد على فعالية هذه العوامل تخطيط سياسة الاحتلال الذى وضعه اللورد « دوفرين » وطبقه « كرومر » والذى تضمن : ترك شيء من الحرية النسبية للصحف تنفيساً عما قد يعن لمحرريها من آراء وملاحظات قد تفيد منها سياسة الاحتلال — مع إغفال قانون المطبوعات ، وتحقيقاً لهذه السياسة ذهب كرومر إلى أن تكون للاحتلال صحف تؤيد بقاءه صراحة لا ضمناً وتدافع عن أعماله وترد على معارضيه وفى مقدوره تأييدها مادياً وأدبيًّا ، فأوعز إلى أصحاب « المقتطف » إنشاء صحيفة يومية سياسية تعبر عن المصالح البريطانية كما كانت « الأهرام » تعبر عن المصالح الفرنسية ، فتقدم يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس إلى إدارة المطبوعات فى ١٨ أبريل سنة ١٨٨٨ يرجون الترخيص لهم بإنشاء جريدة « المقطم » .

كما صدرت جريدة « المؤيد » فى أوائل ديسمبر ١٨٨٩ لصاحبها السيد على يوسف للتعبير عن مصالح المصريين عامة ، والخديو خاصة ، ولتتحدث بلسان حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية .

وإذا كان التفكير الدينى عند السيد على يوسف يجعل بعض الناس

يضفى عليه اتجاهاً سلفيا ، فإنه كان كاتباً مجدداً فى المقال الصحفى تعبيراً وأسلوباً ، ذلك أنه كان يصنع « صناعته » الصحفية ليتعلمها الناس منه ، ولم يكن يتعلم تلك الصناعة على أساتذتها فى الشرق والغرب ، ولا على أدواتها التى تمليها عليه كما يقول العقاد . . فالسيد على يوسف يكتب مادة « صحفية صحيحة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى » مستحدثاً فى الأسلوب العربى ما يسمى بالأسلوب السياسى . بحيث يمكن القول إن مقال السيد على يوسف يضع البداية الفاصلة بين فن المقال الصحفى وفن المقال الأدبى ، فكان رائداً لمن أتوا بعده من كبار الصحفيين .

على أن المضمون السياسى فى مقال على يوسف ، يمثل اتجاهاً من اتجاهات الحركة الوطنية فى عهد الاحتلال ، يتجه إلى تأييد الخديو من جهة ، والدعوة إلى الرأى المحافظ من جهة أخرى ، كما يذهب إلى ذلك « تشارلس آدمس » . فالفرق بين الزعيم مصطفى كامل وعلى يوسف هو الفرق بين السياسة القومية وسياسة القصر والحاشية الخديوية ، أو الفرق بين الخطيب المنطلق والكاتب الحصيف ؛ على حد تعبير العقاد .

وتأسيساً على هذا الفهم نتلمس اتجاهين إلى جانب هذا الاتجاه المحافظ غلبا على الحركة الوطنية فى عهد الاحتلال ، اتجاه حماسى متطرف فى عداوته للاحتلال وآخر معتدل لا ينكر التعاون مع الإنجليز والسير معهم لتحقيق المصلحة العامة للبلاد ، ورأى يقول إنه لا أمل فى

الإصلاح الحقيقى إلا بزوال الاحتلال ، وآخر يقول إن الإصلاح الحقيقى الداخلى هو وسيلة الجلاء[١] ، وكان على الاتجاه الأول والرأى الأول مصطفى كامل وشيعته ، وعلى الاتجاه الثانى جماعة من الأعيان المصريين وبعض « حصفاء » الثورة العرابية[٢] الذين شهدوا تذبذب السياسة الفرنسية والسياسة العثمانية قبل الاحتلال فاستقاموا على الطريق الممهد لهم من تزويد الأمة بعدة العلم والإصلاح الداخلى .

وفى الاتجاه الثانى – الاتجاه المعتدل – سارت « الجريدة » التى صدرت فى ١٩٠٧ لمحررها لطفى السيد فحملت عبء الدفاع عن الرأى الذى يقول إن الإصلاح الداخلى بالتعاون مع الاحتلال هو أقوم السبل إلى تحقيق الاستقلال ، كما سار فيه غير أصحاب الجريدة ممن تفاوتت درجات اعتدالهم وتعاونهم مع الاحتلال وآمالهم فى الإصلاح . فى حين دعا مصطفى كامل إلى وضع حد للاحتلال البريطانى ، ورأى إمكان تحقيق ذلك بمساعدة دولة ثالثة ، وهى إما فرنسا الخصم التقليدى لإنجلترا فى الشرق الأدنى ، أو السلطان العثمانى . واعتقد أيضاً أن مصر أمة واحدة ، لكنها جزء من عالم أكبر لا بل من عدة عوالم : العثمانى والمسلم والشرقى ، كما اعتقد أنه عليها أن توطد علاقاتها مع كل من هذه العوالم

---

(١) أحمد أمين : زعماء الإصلاح ص ٣١٣ – آدمس : الإسلام والتجديد ص ٢١٠ – د . النجار : الجريدة ص ٨٠ .

(٢) العقاد : سعد زغلول .

الثلاثة [١]

وقد نشر هذه الأفكار خطابة وكتابة ، فكان خطيبا مفوها وصحفيا ناجحا ويعزى إليه الفضل فى إنشاء ثانى صحيفة مصرية فى سنة ١٩٠٠ هى صحيفة « اللواء » بعد أن كان السيد على يوسف قد أنشأ « المؤيد » فى ١٨٨٩ ، حين كانت معظم الصحف بأيدى السوريين [٢] . كما أصدر « اللواء » فى طبعتين : إنجليزية وفرنسية . وأكسبته أفكاره وبلاغته وصحفه نفوذاً لدى الشباب المثقف ، على أن ما أكسبه النفوذ السياسى المباشر هو تأييد الخديو له وصلته به . ذلك أن عباس حلمى بخلاف سلفه توفيق ، الذى حماه الإنجليز من الثورة وثبتوا عرشه ، فكان عن ضرورة وعن ضعف ، آلة طيعة فى يد كرومر ، أما عباس فكان شاباً يكره الائتمار بأوامر رجل مسن ، ويرغب فى أن يحكم بنفسه . ولكن إنجلترا تذرعت بصغر سنه ونادت صحفها بأن ارتقاء الخديو الشاب عرش مصر يجعل بقاء الاحتلال أكثر ضرورة من أى وقت ، فلا يجوز منذ الآن الكلام عن الجلاء [٣] . ووجد عباس فى مصطفى كامل أداة مفيدة للحد من سلطة كرومر ، كما وجد فيه مصطفى كامل وسيلة لتحقيق غايته الوطنية ، وظن « كل منهما أنه يستخدم الآخر » [٤] . إلا أن هذا التحالف أخذ

(١ و ٢) ألبرت حورانى : الفكر العربى فى عصر النهضة ص ٢٤٥ .

(٣) البول مول جازيت – عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ص ٢١٤ .

(٤) حورانى : نفس المرجع ص ٢٤٣ .

يضعف تدريجياً ببروز نقاط الضعف فى هذه السياسة . فانخذال فرنسا فى فاشودة فى ١٨٩٨ ، والاتفاق الودى فى ١٩٠٤ ، جعلا من الصعب التصديق أن بإمكان فرنسا دعم الوطنيين فى مصر(١) . فاتجه الخديو بعد سنة ١٩٠٤ فى اتجاه التقرب من الإنجليز ، إذ أصبح ذلك فى الإمكان بعد عزل « كرومر » ومجىء « غورست » خلفا له . وكان مصطفى كامل قد انتهى إلى الاعتقاد بأن اهتمام الخديو عباس بسلطته الخاصة كان أشد من اهتمامه باستقلال مصر(٢) .

على أن نمو طبقة الطلاب قد أتاح لمصطفى كامل مجالاً واسعاً للخطابة والكتابة ، كما أن حادث دنشواى قد فجر الشعور بالمقاومة الوطنية وترك «فى الشعور العام تأثيراً عميقاً»(٣) على نحو ماصورة قاسم أمين أبلغ تصوير : « ولكن هذا الإخاء فى الشعور بقى مكتوماً فى النفوس لم يجد سبيلا يخرج منه فلم يبرز بروزاً واضحاً حتى يراه كل إنسان » .

ولم يلبث هذا الشعور العام بالإضافة إلى تخفيف شدة الرقابة تنفيذاً لتوصية دوفرين ، أن ظهرت آثار ذلك جميعاً فى ازدهار المقال الصحفى وارتباطه بالرأى العام ، الذى غدا بدوره ظاهرة لفتت كتاب المقال وعنوا بتعميقه وتطويره ، وذهب لطفى السيد إلى أن « الرأى العام للأمة إذا لم يكن منطبقاً على الحق والعدل فى ذاتهما فإنه على الأقل منطبق على

(١ و ٢) حورانى : نفس المرجع ص ٢٤٣ .

(٣) أحمد أمين : حياتى ص ٧٩ .

الحق والعدل على الوجه الذى به تفهمها الأمة وتحتملها »[(١)] . ذلك أن الرأى العام فى مصر منذ عصر إسماعيل . قد ضعف « لحداثة سنه من جهة ، ولقوة الحكومة الظالمة من جهة أخرى . إلا أن ضعفه لم يمنعه من النمو والارتقاء يوماً فيوماً ، تبعاً لقواعد الرقى التدريجى . فكانت كل حادثة من الحوادث السياسية ، من شأنها أن تقوى ساعده وتسد عضده للبقاء ، حتى صار اليوم على ما نراه عليه »[(٢)] ، فالمصريون من يوم أن بدأوا التعليم على الطريقة الغربية ، أخذوا يطمعون فى حكومة دستورية متمدنة ، وأخذوا يتذمرون سرًّا من احتكار الشراكسة للوظائف العسكرية ، حتى بلغ الرأى العام أشده إبان الثورة العرابية التى انتهزها الإنجليز سبباً لاحتلال مصر[(٣)] .

أما ظهور هذا الرأى العام ظهوراً جلياً أمام أعين الأوربيين ، فإنه لم يبتدئ إلا مع حرية الصحافة المصرية ، التى لم تنتشر إلا فى عهد الاحتلال ، وصار انتشارها أعم فى أزمنة سياسة الخلاف بين الإنجليز والقصر . وينكر لطفى السيد أن الصحافة المصرية خلقت رأيًا عامًّا كاذباً ، كما يزعم كرومر[(٤)] . « فماذا كان ذنب هذه الصحافة المصرية ، التى هى البقية الباقية للمصريين من ميراث الحرية الذى ورثوه عن أبويهم : آدم وحواء ؟ »[(٥)] .

(١ و ٢ و ٣) أحمد لطفى السيد : « الرأى العام » — الجريدة فى ١١ يوليه ١٩٠٨ .
(٤ و ٥) المرجع السابق .

على أن اتجاهات الرأى العام فى تلك الفترة تصبغ الوطنية بصبغتين متميزتين مختلفتين ، إحداهما تتجه إلى الجامعة الإسلامية[(١)] وتتمسك بالرابطة العثمانية[(٢)] . والثانية تتجه إلى ما عرف حينذاك بالجامعة المصرية وهو الاصطلاح السائد فى ذلك الوقت للتعبير عن القومية المصرية[(٣)] ، وكانت فكرة ناتئة لم تتبلور بعد فى الأذهان . انتقلت إلى مصر مع ما انتقل إليها من الغرب ، متأثرة فى ذلك بالاتجاهات القومية التى سادت فى أوربا فى القرن الماضى[(٤)] . وقد اختلطت الفكرتان اختلاطاً شديداً ، منذ البداية ، فقد أصر الطهطاوى على وجود ولاءين : الأول تجاه من يدينون بالدين الواحد ، والآخر تجاه المواطنين ، كما فى دولة الفقهاء الإسلامية المثلى[(٥)] . لكن فكرة « الوطن » الفرنسية كانت قد انتصرت فى مصر بعد وفاته ، فى رحلة البحث الحديث عن الوطن المصرى ، وكان من مظاهر انتشارها إنشاء إحدى الصحف الكبرى الأولى فى سنة ١٨٧٧ باسم « الوطن » وعندما وضع حسين المرصفى كتيباً فى ١٨٨٩ ، لشرح « بعض المفردات الشائعة

---

(١) الجريدة فى أول سبتمبر ١٩١٢ – المنتخبات حـ ١ ص ٣٠٨ .

(٢ و٣ و٤) م . محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر المقدمة حـ – الدكتور حسين فوزى النجار : مرجع سابق .

عرّبت المقطم عبارة Nationalism فى تقرير كرومر ١٩٠٦ بعبارة الجامعة الوطنية المصرية واستعملها لطفى السيد فى كل كتاباته .

(٥) ألبرت حورانى : مرجع سابق ص ٢٣٥ .

على ألسنة الناس » أدخل كلمات : « الوطن » و « الأمة » فى عداد تلك المفردات كالحرية والعدالة والظلم والسياسة والحكومة والتربية ، حسب مفاهيم عصره. فللأمة مثلا فى مفهومه ، معنى أوسع بكثير من المعنى الدينى [١] . ومن ذلك ما أخذه الأستاذ الإمام على عرابى من «جهل لحقيقة معنى الكلمات التى كان يستعملها » ويتجلى الخلط بين الدين والقومية حين نقابل بين مقالات محمد عبده المبكرة ومقالاته خلال تلك الفترة التى لعبت فيها الصحافة التوجيهية دوراً مهمًّا فى الحياة السياسية المصرية ، وبرزت « شخصية الصحفى السياسى كشخصية رئيسية فى العصر الحديث ، وهو الذى عنى خصوصاً لا بنشر الآراء فحسب بل بمهارته فى استعمال اللغة ، بإثارة المشاعر الجياشة » [٢] .

على أن مفهوم القومية المصرية لم ينفصل تماماً عن الجامعة الإسلامية ، إلا بعد الحرب الأولى وانهيار الإمبراطورية العثمانية ثم سقوط الخلافة بعد ذلك ، ذلك أن هذا الانفصال لم يتم إلا تدريجيًّا بعد أن أخذت معالمه تنمو وتتضح منذ بداية القرن العشرين [٣] .

ومن ذلك يبين أن العلاقة بين الصحافة والرأى العام ، قد لعبت دوراً أساسيًّا فى تجديد مفهوم القومية المصرية ، فلم تظهر « الأحزاب

---

(١) ألبرت حورانى : مرجع سابق ص ٢٣٥ .

(٢) ألبرت حورانى : مرجع سابق ص ٢٣٦ .

(٣) م . محمد حسين : مرجع سابق ص ٦٣ - ٦٤ .

السياسة المنظمة » إلا من دور الصحف كتجسيد مادى لآرائها التى كانت تدافع عن قضية البلاد . فتأسس الحزب الوطنى ليجسد آراء واتجاهات صحيفة « اللواء » كما جسد « حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » اتجاه « المؤيد » وخرج « حزب الأمة » أساساً من « الجريدة » وكان لطفى السيد مديرها وسكرتير الحزب هو المعبر الحقيقى عن آرائه .

ونخلص من ذلك إلى أن المحور القومى فى الحياة السياسية ، وتحديد مفهوم القومية المصرية ، من أهم الأمور فى تطور المقال الصحفى فى مصر ، كما ارتبط ظهور المقال الصحفى الأوربى بظهور القوميات المنسلخة عن العالم المسيحى الموحد ، بحيث يمكن القول إن حركة الانفصال عن الخلافة العثمانية من أهم العناصر فى تحديد مفهوم المقال الصحفى فى مصر .

الحياة الفكرية

وتأسيساً على هذا الفهم ، نجد المقال الصحفى فى بيئة التجديد ؛ مرتبطاً بالبيئة المصرية ومايضطرب فيها من حبوات ، بحيث بدت القاهرة حينئذ أشبه ما تكون ببرج بابل ، على حد تعبير العقاد ، تعج بدعوات من كل لون ، ولكن هذه الصورة ترتبط من الوجهة المصرية بالأستاذ الإمام محمد عبده ، الذى ذهب فى توجيه النهضة القومية بعد عودته من المنفى إلى وجهة تتفق مع مذهبه فى الحياة ، وهى وجهة « لا يشغلها الغرض القريب عن الغرض البعيد ، ولا ييئسها الأمل الضائع أن تصمد للأمل الذى لا يضيع »[1] فلا معول للأمم فى جهادها -- لديه -- أنفع وأصدق فى المضى بها إلى غايتها من العام الحى والتربية القومية . وكان يقول للمقربين لديه من مريديه : لو كان فى هذه الأمة مائة رجل لما استطاع الإنجليز أن يحكموها ، ولما أدركوا منها أرباً فى حكمهم إياها ، وإنما الرجل عنده صاحب الفكر البصير والخلق المكين : صاحب الكفاءة الذى إن وجد فى الأمة قادها لا محالة ، ولم يتمكن أجنبى ذو سطوة أو ثروة أن ينازعه على قيادها[2] .

(١ ، ٢) العقاد : محمد عبده ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

ويلخص لنا هذا القول اتجاه الإمام وأثره فى التربية الوطنية ، وسبب انصرافه إلى حصر نشاطه فى تلك الدائرة التى ارتضاها لنفسه وهى تزعم حركة الإصلاح الدينى والاجتماعى ولم يتعداها إلى خارجها ولم يرد أن يكون صاحب رأى مباشر فى الحياة السياسية إلا من خلال مذهبه الاجتماعى والصحافة النزيهة وتربية القادة[1] . ويبين هذا الأثر الفكرى من تمثل كتاب الجريدة لأفكار الإمام واتجاهاته ، فقال عنهم كرومر فى تقرير ١٩٠٦ « إنهم من أتباع الشيخ محمد عبده » وقال عنهم غيره إنهم من تلامذته ورواده . ومهما يكن من شىء فقد اتجه كتاب « الجريدة » إلى تعقيل الحياة وتخليصها من عناصر الخرافة وما إليها ، واتسمت هذه الدعوة بإعادة النظر فى الإصلاح المصرى على أساس جديد ، هو العقل من ناحية ، والمنفعة الذاتية لمصر وحدها من جهة ثانية .

على أن هذه الدعوة لا يمكن أن تنفصل عن الفكرتين اللتين سادتا البيئة المصرية فى هذه الفترة ، وهما : فكرة الحضارة الأوربية من جهة وفكرة الجامعة الإسلامية من جهة ثانية ، وذلك بعد أن تركت كل من هاتين الفكرتين آثاراً عميقة فى الرأى العام المصرى ، والحياة العامة المصرية ، فأصبح « التعقيل » اتجاهاً ثقافياً وفكريًّا لخطة الأستاذ الإمام ، نهض به لطفى السيد ورسم به مدرسته ، فامتازت الحركة الأدبية والفكرية فى مصر – فى النصف الأول من القرن العشرين – بميل حقيقى

---

(١) العقاد : محمد عبده ص ١٨٥ و ١٨٦ .

للتعقيل ، وإيثار الجانب التفكير ، وبعْدٍ عن مسايرة العواطف .

ومن جهة أخرى فقد أبرز لطفى السيد نموذجاً جديداً يضاف إلى النموذج العربى الإسلامى ، وهو نموذج الفكر اليونانى وترجم لأرسطو ، وأردف ذلك بنقل فكرة الديمقراطية إلى الحياة المصرية . وغنى عن البيان أن نقول إن النهضة الأوربية الحديثة قامت على هذا النموذج اليونانى ، وفى أحضان هذه النهضة ولدت المقالة الأوربية على يد « **مونتانى** » فى فرنسا و « **بيكون** » فى إنجلترا وهما فيلسوفان عقليان .

ولعل فى ذلك ما يعلل اتجاه طه حسين إلى تأثر العقل المصرى بالبحر المتوسط منذ عصوره الأولى ، وإن العقلَ المصرى قد اتصل بالعقل اليونانى ، اتصال تعاون وتوافق .

ومهما يكن من شأن الاختلاف فى جدوى الخطتين : السياسة أو التعليم فى القضية المصرية ، فليس هناك خلاف فى رجحان كفة العلم على كفة السياسة ، ولا سيما أن الجيل الذى أثمرته خطة التعليم ، كان هو نفسه الجيل الذى نهض بالسياسة من بعد ، ومضى بمصر فى جهادها للظفر بالاستقلال والدستور والحرية .

ولذلك لم يرض كرومر عن فكرة إنشاء الجامعة المصرية ، وأحصى لطفى السيد هذا الموقف من سيئات كرومر التى ندد بها ، ذلك أن الاهتمام بالتعليم عامة ، كان نعمة من نعم الوعى القومى الجديد وثمرة من ثمار الحركة الوطنية فى شتى مظاهرها واتجاهاتها ، وذلك ما يعبر عنه قاسم أمين

بقوله : « إن الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها » ثم قوله « نطمع فى أن نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حبًّا للحقيقة وشوقاً إلى اكتشاف المجهول ، فئة يكون مبدؤها التعلم للتعلم ، نود أن نرى من أبناء مصر ، كما نرى فى البلاد الأخرى ، عالماً يحيط بكل العلم الإنسانى ، واختصاصيًّا أتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الإلمام ، بجميع ما يتعلق به ، وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة ، وكاتباً ذاع صيته فى العالم ، وعالماً يرجع إليه فى حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأى العام عند الأمم الأخرى ، والمرشدون إلى طريق نجاحها ، والمدبرون لحركة تقدمها ، فإذا عدمتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون » .

ولقد صدق تنبؤ قاسم أمين للجامعة المصرية ، فكان أول خريجيها هو الدكتور « طه حسين » الذى أصبح فيما بعد «كاتباً ذاع صيته فى العالم » ، الأمر الذى يجعلنا نذهب إلى أن تصور تلاميذ الإمام للجامعة المصرية ، قد أكد ثمار إيثاره خطة التعليم فى خدمة قومه على خطط خصومه المشغولين بسياسة الصحف والأحزاب[١] ، ذلك أن الجامعة بيئة للثقافة بأوسع معانيها وللحضارة بأوسع معانيها أيضاً ، كما يذهب إلى ذلك طه حسين فى « مستقبل الثقافة فى مصر » وهى البيئة التى تمثلها فى تكوينه ، فلم يكتف بأن يكون « مثقفاً بل يعنيه أن يكون مصدراً

(١) العقاد : محمد عبده ص ٢٦٤ ، ٢٩٩ .

للثقافة » ، ولم يكتف بأن يكون « متحضراً بل أن يكون منمِّيًا للحضارة » وفى ذلك ما يشير إلى تفاعل الفرد مع البيئة ، والاتجاه بالمقال الصحفى القائم على التعقيل حين يغدو مصدراً للثقافة ومنمِّياً للحضارة .

الحياة الاجتماعية

شهدت البيئة المصرية فى مطلع هذا القرن بوادر الانقلاب الاجتماعى ، التى ترتبط بالحياة الفكرية والاتصال بالغرب واتجاهات الأحزاب السياسية والتى تتمثل فى اتجاهين : الأول يدعو إلى عدم فصل الدين عن الدولة ، كما يتضح من مبادئ الحزب الوطنى ، ويدعو الاتجاه الثانى إلى عدم اختلاط الدعوة الوطنية بالنزعة الدينية ، كما يبين من مبادئ حزب الأمة . ومن ثم دعا ممثلو هذا الاتجاه فى إطار من تعقيل الحياة المصرية إلى فصل الدين عن الدولة ، وتحرير المرأة ، وفض الحجاب عنها . وفى مقدمة الداعين إلى ذلك قاسم أمين أحد تلاميذ الأستاذ الإمام الذى ينطلق كتابه « تحرير المرأة » سنة ١٨٩٩ من مسألة ، تأخر المصريين عن اللحاق بالأمم المتقدمة ، ويذهب إلى أنها إذا بقيت على ضعفها فلن تتمكن من البقاء فى عالم تسوده قوانين « الانتقاء الطبيعى » وفقاً لمفهوم الداروينية ويذهب إلى أن أسباب هذا التأخر لا ترجع إلى البيئة الطبيعية ، إذ قامت فى بعض العهود مدنيات مزدهرة فى هذه البلاد ذاتها ، كما أنها لا ترجع إلى زوال القوة الاجتماعية أو القيم المعنوية ، ومرجع ذلك إلى الجهل بالعلوم الحقيقية التى تمكن من

استنباط قوانين السعادة البشرية . "ويبدأ هذا الجهل فى الأسرة ، فالعلاقة بين الرجل والمرأة ، والأم وابنها ، إنما هى أساس المجتمع ، فالفضائل القائمة فى الأسرة هى ذاتها الفضائل التى تستمر فى المجتمع ، وعلى ذلك فإن دور المرأة فى المجتمع هو « إصلاح أخلاق الأمة » .

ومن ذلك يبين أن جوهر القضية الاجتماعية كما يصوره قاسم أمين هو مركز المرأة . وهذا المركز فى مجتمع تقليدى وارث لعصور الانحطاط لا يتحسن إلا بالتربية ، كما أنه لا يمكن المرأة أن تمارس حقوقها وتقوم بدورها فى المجتمع من وراء حجاب ، إذ أن المرأة لا تكون كاملة مالم تتصرف بنفسها ، وتتمتع بالحرية التى منحتها إياها الشريعة ومالم تنم طاقاتها إلى أقصى الحدود .

وتصور العاصفة الشديدة التى قوبلت بها أفكار قاسم أمين فى الصحف ، رد الفعل التقليدى الذى ذهب إلى مهاجمة نظريته فى الكتب والمقالات . فى حين ذهب بعض الكتاب إلى تأييد هذه النظرية ، ولم يلبث قاسم أمين فى سنة ١٩٠٠ أن أصدر كتاب « المرأة الجديدة » ليرد على معارضيه بأسلوب أكثر جدلية من أسلوب الكتاب الأول ، مستنداً إلى الفكر الاجتماعى الأوربى الحديث فى تطوير المجتمع المصرى ، تأسيساً على أن حرية المرأة هى أساس جميع الحريات الأخرى ومعيارها . ذلك أن حقوق المرأة قد « تطورت مع تطور المجتمع البشرى » .

ولم تلبث هذه الرؤية الاجتماعية الجديدة أن شغلت أذهان الشباب الذين ذهبوا إلى التفكير في الأمر جدياً ، يرى فيه أكثرهم مروقاً من الدين وتمهيداً للإلحاد ، ويرى بعضهم أنه حق ، وأنه الوسيلة الوحيدة لخلق شعب حر بدرك الحياة إدراكاً صحيحاً ، كما أنه « العدل كل العدل ألا تحرم المرأة من نور الحياة ومن نور العلم الذى يزيدها للحياة إدراكا وتقديراً صحيحاً » ؛ كما يقول د . هيكل .

ولم تلبث هذه البادرة القومية – كذلك – أن تمخضت عن معناها العملى الدائم ، الذى شوهد فى واقع الحياة المصرية بعد ذلك وبرزت حقيقته فى كل مهمة تتطلب الرجال العاملين من المفكرين المؤمنين بفريضة الإصلاح ورسالة التقدم . فقد أعاد هؤلاء وغيرهم من تلاميذ الإمام إلى العقل المصرى المستنير ؛ الثقة بعقيدته فى هذا العصر الحديث ، ورفعوا من طريقه إلى العمل عقبات المجتمع التقليدى : الجمود والخرافة والتقليد . لأنهم زودوه على قواعد دينه بفلسفة الحياة التى يقابل بها « فلسفات الغرب المتسلطة عليه من جهة السطوة أو من جهة الإيمان بالعقائد والآراء – كما يقول العقاد – فأخذ المجتمع المصرى فى طريقه إلى التطور من القديم والحديث ما ساغه ذوقه ، وأحس بنفعه العام له ، وظل القديم الصالح يعمل عمله ، وكمن ما تصور البعض أنه غير صالح فى إطوار المجتمع ، ولم تنعدم وظيفته انعداماً تامًّا ، ومن هنا تحول التليد والطارف إلى ما يشبه الصراع النفسى فى أطواء الوجدان

الشعبى ، وفى مكنون الوجدان الفردى معاً ، كما يقول د . يونس ، فقد صور الأدب الفصيح والشعبى ، كما صورت الصحافة المصرية تطور هذا الصراع .

وإذا كان الكيان الاجتماعى فى مطلع هذا القرن كما صوره الأستاذ الإمام ، يقوم فى لبابه على « فلسفة أخلاقية »[١] فإن ذلك لم يكن سهواً عن عمل التجارة والصناعة ، ولا عن عمل النظام العادل فى سياسة الناس ، ولكنه كان يعتقد أن الجهل فقرٌ أشد على الناس من فقر المال ، فليست بلادنا كما يقول الأستاذ الإمام « بلاد الجوع القتال ، ولا بلاد البرد القارس المميت ، ولا بلاد الشقاء التى لا ينال الإنسان فيها قوت يومه إلا بالعذاب الأليم ، بل نحن فى بلاد رزقها الله سعة من العيش ، ومنحها خصوبة وغنى يسهلان على كل عائش فيها قطع أيام الحياة بالراحة والسعة . ولكن ياللأسف منيت مع ذلك بأشد ضروب الفقر : فقر العقول والتربية[٢] .

ونخلص من هذه الصورة لبيئة المقال الصحفى فى مصر ، والتى استوحيناها مما ترسب فى العقل من القراءات المتعلقة بالحيوات السياسية والفكرية والاجتماعية إلى أن هذه البيئة قد أثرت فى توجيه المقال الصحفى فى مصر وجهة جديدة ، يلتقى فيها التيار الحديث بالتيار القديم لتكوين العقل المصرى الجديد الذى يتوسل بهذا المقال .

(١ ، ٢) العقاد : نفس المرجع ص ٢٩٨ .

فى هذه البيئة عاش رواد التجديد مرحلة التكوين العقلى والفكرى على اتصال باتجاهات التجديد ، وبامتداد التيار الغربى حيث أذنت البيئة المصرية بتقبل آثاره ، ولم يعد أمام هذا الجيل من الشباب إلا أن يتسلم زمام القيادة للاتجاهات الجديدة ، وطبع التيار الوافد بطابع بيئتهم وجيلهم . ذلك أن أبناء هذا الجيل برغم بريق الرومانسية القومية وشعورهم بالإباء دفاعاً عن النفس ، وبحثهم العميق فى مقومات الشخصية المصرية ، كانوا يقررون بوجه عام « أن الحضارة الأوربية أرقى حضارات العالم » ولكنهم مع ذلك كانوا يعتقدون أن مصر الحديثة ليس فى مقدورها إنشاء نظام سياسى ديمقراطى ليبرالى ، يتبنى قيم هذه الحضارة ، إلا إذا كانت مستقلة .

وفى ذلك ما يشير إلى إجماع أبناء هذا الجيل بعد الثورة القومية فى سنة ١٩١٩ ، على اتخاذ موقف عام من السياسة والمجتمع ، وهم القادة المقاليون الذين تسلموا قيادة الرأى العام من الجيل الذى تتلمذوا عليه ، وكانت ثقافتهم الأوربية (إنجليزية أو فرنسية) لا تقل فى عمقها عن ثقافتهم العربية التقليدية ، الأمر الذى هيأهم لقيادة الرأى العام من خلال المقال الصحفى قبل غيره من فنون القول ، فقد عبروا عن أفكارهم فى معظم الأحوال على صفحات الصحف اليومية ، والمجلات الأسبوعية والشهرية .

ومن ذلك يبين الخط البيانى لأثر البيئة العامة فى مقالات رواد

التجديد وتعرفهم على مقومات الشخصية المصرية ، فكانوا فى مطلع هذا القرن « مقصورين على أنفسهم لا يكادون يتجاوزونها »[١] فى حين ينتقلون بعد ثورة ١٩١٩ بالفكر المصرى إلى طور جديد يسميه طه حسين طور « الحياة العالمية لمصر » وهو الطور الذى يتمثل مقومات البيئة المصرية بعناصرها الثلاثة : العنصر المصرى الخالص الذى ورثناه عن المصريين القدماء على اتصال الأزمان بهم وعلى تأثرهم بالمؤثرات المختلفة التى خضعت لها حياتهم . والعنصر العربى الذى يأتينا من اللغة ومن الدين ومن الحضارة والذى « امتزج بهذه الحياة امتزاجاً مكوناً لها مقوماً لشخصيتها » وهذا العنصر ليس عنصراً أجنبياً ، ذلك أنه كما يقول طه حسين قد « تمصر منذ قرون وقرون ، وتأثر بكل المؤثرات التى تتأثر بها الأشياء فى مصر من خصائص الإقليم المصرى » والعنصر الأخير عنصر أجنبى تقتضيه الطبيعة الجغرافية لمصر ويأتيها من اتصالها بالأمم المتحضرة فى الشرق والغرب .

ويتفاوت تأثير هذه العناصر الثلاثة أدى كتاب المقال الصحفى فى مصر بمقدار حظ كل كاتب منها ، فبعض آثارهم يغلب عليه العنصر العربى ، وبعضها يغلب فيه العنصر الأوربى ، وقليل جدًّا منها يظهر فيه العنصر المصرى القديم .

(١) طه حسين : « مقومات الأدب المصرى الحديث » مجلة المستمع العربى ع ١٦ عام ١٩٤٩ .

المقال الأدبى

والمقال الصحفى

وإذا كان عصر النهضة هو البيئة المواتية لظهور فن المقال الأدبى، فقد كانت عصور التقدم العلمى، والتنوير الفكرى، وتكون الرأى العام وظهور الطبقة الوسطى التى تمتاز بعقلية واقعية، وتهتم بمشكلات المجتمع العملية من أهم عوامل ظهور فن المقال الصحفى.. الذى يختلف - كما يذهب إلى ذلك الدكتور إمام - عن فن المقال الأدبى اختلافاً جوهريًّا من حيث الوظيفة والموضوع واللغة والأسلوب جميعاً: « فالمقال الأدبى يعبّر قبل كل شىء عن تجربة معينة مست نفس الأديب، فأراد أن ينقل الأثر إلى نفوس قرائه، ومن هنا قيل إن المقال الأدبى قريب جدًّا من القصيدة الغنائية، لأن كليهما يغوص بالقارئ إلى أعماق نفس الكاتب أو الشاعر، ويتغلغل فى ثنايا روحه حتى يعثر على ضميره المكنون، وكل الفرق بين المقال الأدبى والقصيدة الغنائية هو فرق فى درجة الحرارة، تعلو وتتناغم فتكون قصيدة، أو تهبط وتتناثر فتكون مقالاً أدبياً « على حد تعبير الدكتور زكى نجيب محمود » أما المقال

الصحفى فيتصل أكثر ما يتصل بأحداث المجتمع الخارجية عامة ، كما يفترض وجود رأى عام يخاطبه ويتحدث إليه . أوكما يقول الدكتور إمام ، إن المقال الأدبى يدخل فى اعتباره عواطف الفرد ووجدانه ، أما المقال الصحفى فيهتم بما يسمى « الوجدان الجماعى » .

وفى دائرة المعارف البريطانية إفاضة فى تعريف المقالة الأدبية تحت مادة Essay (ط ١٩٢٩م٨) : « المقالة الأدبية عبارة عن قطعة مؤلفة متوسطة الطول ، وتكون عادة منثورة فى أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد ، وتعالج موضوعاً من الموضوعات ، ولكنها تعالجه – على وجه الخصوص – من ناحية تأثر الكاتب به » ويرى « سوارس » فى كتابه «مقدمة لدراسة الأدب» أن هناك قسمين من المقالات :

الأول : قطع إنشائية فى موضوع من موضوعات العلم أو الفلسفة أو التاريخ أو النقد . وغرضها الأول عرض طائفة من « المعلومات » ، ومثل هذه المقالات قابلة لأن تكبر حتى تصبح « بحوثاً » .

الثانى : عبارة عن قطع قصيرة ، فى أسلوب استطرادى ، تشتمل على وجهة نظر الكاتب فهى محاولة منه أن يسجل الآراء التى يثيرها الموضوع فى فكره . والموضوعات لا تقع تحت حصر ، ولكنها يجب أن تصطبغ بانفعالات وشخصية الكاتب . ولعل مقالات « تشارلس لام » المسماة مقالات « إليا » هى خير مثال لهذا الطراز من المقالات .

ويشتمل **المقال الأدبى** على : **المقال الوصفى أو العرضى ، والمقال النزالى ، والمقال النقدى ، والمقال الكاريكاتيرى ، والمقال القصصى ، والمقال الاعترافى** . . إلخ .

أما المقال الصحفى فينقسم إلى أنواع منها : **المقال الافتتاحى أو العمود الرئيسى ، والعمود الصحفى ، وفن اليوميات الصحفية** .

ونحن نذهب إلى أن الفصل بين المقال الأدبى والمقال الصحفى فصل تعسفى فى كثير من الأحيان ، ذلك أن المقال الصحفى قد وظف فنون المقال الأدبى لأداء مهام الفن الصحفى ، وطبعها بطابعه كفن تطبيقى وليس فنًّا تجريديًّا ، وهو لذلك يقوم على أداء وظائف الإعلام والتفسير والشرح والتوجيه والإرشاد والإمتاع والتعليم والتنشئة الاجتماعية . فالمقال الصحفى مسئول عن تقديم المعلومات إلى الجماهير بصورة مبسطة مستساغة ، وخالية من التفاصيل المعقدة ، ولذلك يجب أن يكون المقال الصحفى جميل الأسلوب ، مشرق الديباجة ، متفرداً فى موضوعه وهدفه ، قويًّا فى تعبيره عن الرأى . . وإذا كان المقال يدعو لقضية ، فلا بد أن يفعل ذلك دون إبهام ، وإذا كان يشرح أو يفسر أو يحلل فعلى الكاتب أن يقدم أكثر مما يستطيع المندوب الصحفى أن يقدمه فى أعمدة الأخبار ، متوسلا بما يتميز به الفن الصحفى الحديث من تبسيط وتجسيد وتصوير ، بحيث يقدم أعقد المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية باصطلاحات الإنسان العادى .

(ا) المقال الافتتاحى

ويطلق عليه الإنجليز والأمريكيون اسم Editorial Article أو اسم Leading Article وهو المقال الرئيسى للصحيفة ، وله فن خاص به من حيث الصياغة : وأساس هذا الفن هو الشرح ، والتفسير والاعتماد على الحجج المنطقية حيناً ، والعاطفية حيناً آخر للوصول إلى غاية واحدة فقط ، هى إقناع القارئ(١) .

كما أن كاتب المقال الافتتاحى فى الجرائد الكبرى مثل (التيمس) و (الهيرالدتريبيون) يكون معروفاً لدى جمهور القراء . بمعنى أنهم قد تعودوا أسلوب كاتب المقال الافتتاحى الذى يجب أن يتميز بالسلاسة والبساطة والوضوح والإيناس بين الكاتب والقارئ . ولذلك نجد كاتب المقال الافتتاحى – الذى لا يوقع باسمه ، معروفاً لدى جمهور القراء الذين تآلفوا مع أسلوبه ، وتعودوا على فتح الصحيفة فى صفحة معينة لقراءة مايكتبه كاتبهم المفضل البسيط الأسلوب والمقنع فى حججه(١) .

ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من

(١ و ١) د . حمزة : المدخل فى فن التحرير الصحفى ص ٢١٨ .

Spencer; M. Lyle: Editorial Writing.

صفحاتها ما عدا واحدة ، ما يجرى فى العالم الواسع من أحداث وما يدور فيه من أفكار وآراء . وتستبقى صفحة واحدة فقط ، وفى بعض الأحيان ، عموداً واحدًا فحسب ، لتجهر بآرائها هى وأفكارها . فحق الصحيفة فى الإعراب عن رأيها فى الأنباء التى تنشرها أمر طبيعى جدًّا ، فالنبأ والرأى رفيقان يظهران جنباً إلى جنب ، ذلك أن أول سؤال يبدو لأذهاننا عندما يأتينا شخص ما بأى معلومات تثير اهتمامنا هو « ما رأيك فى هذا الأمر » ؟[١] ولذلك كانت الصحافة فى أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والآراء على حدة ، فتصدر إحداها فى رسائل الأنباء ، والأخرى فى كراسات . وكان « دانيال ديفو » هو أول من وحد بين هذين التيارين الصحفيين فى مطبوعة واحدة أسماها « ذى ريفيو » أصدرها فى لندن عام ١٧٠٤[٢] .

وينسب إلى ديفو أولية كتابة ما كان يسمى بالخطاب الافتتاحى Letter Introductory وهو أول مقال حول موضوع سياسى أو اجتماعى هام تعليقاً على الحوادث الجارية يكتب بأسلوب شائق جذاب ويظهر عادة فى صدر الصحيفة وكأنه خطاب رقيق لطيف من الكاتب إلى القارئ فسمى بالخطاب الافتتاحى ، وكان نواة للمقال

---

(١) بوند : مدخل فى الصحافة ص ٢٨٩ .

(٢) د . امام : تطور الصحافة الإنجليزية ص ١٩٦ .

الافتتاحى الذى نعرفه فى الصحافة الحديثة[١] .

وقد أوحت لغة الصحافة المتطرفة فى حزبيتها ، الصاخبة فى أسلوبها وعباراتها إلى عبقرية هذا الصحفى الفذ – « ديفو » بابتداع المقال الهادئ المتزن ، الذى يمحص الآراء ويختبر الحقائق ويناقش سياسة الحكومات فى هدوء وروية ، وهكذا أنشأ « ديفو » لأول مرة فى تارخ الصحافة الإنجليزية مقالات سياسية معتدلة ، ومنطقية متزنة . ثم تطور فن المقال الافتتاحى فى الصحف السياسية التى اشترك فيها « ديفو » حتى بلغ مرحلة الفن الناضج الذى يقوم على أسس معينة وتقاليد محترمة . وبفضل ديفو عرفت الصحافة أن المقال الافتتاحى ليس تعبيراً عن رأى الكاتب وحده أو وجهة نظره الخاصة ، كما هى العادة بالنسبة لفنون المقال الأخرى ، بل إنه على العكس من ذلك ينبغى أن يكون تعبيراً دقيقاً عن رأى الصحيفة وسياستها كمؤسسة اجتماعية عامة . فإذا كتب رئيس التحرير مقالا افتتاحيًّا فلا يجوز أن يضمنه رأيًا شخصيًّا ، وإنما يعبر عن سياسة الصحيفة وموقفها العام بالنسبة للشئون السياسية والاجتماعية . فالمقال الافتتاحى لا يمكن أن يذيل بتوقيع كاتبه وإلا كان التوقيع متعارضاً مع فكرة المقال نفسه ووظيفته كتعبير عن السياسة العامة للصحيفة ، لا رأى الكاتب وحده[٢] .

وتأسيسا على هذا الفهم لوظيفة المقال الافتتاحى ذهبت الصحافة

(١ و ٢) د . إمام : تطور الصحافة الإنجليزية ص ١٩٦ .

الحديثة إلى تخصيص صفحة للافتتاحيات ، تجعلها مؤلفة من آراء الصحيفة نفسها ، معبراً عنها قولا فى افتتاحيات ، ورسماً فى صورها الكاريكاتورية ، وكذلك من آراء الآخرين . وقد تكون هذه الآراء الخارجية هى أفكار قراء الصحيفة ترد إليها على الطريقة المعروفة « رسائل إلى المحرر » أو مقتطفات موجزة من أعمدة الرأى المنشورة فى صحف أخرى ، تنقلها تحت عنوان مثل « من أقوال الصحف » مثلا[1] .

ويتحمل كتاب الافتتاحيات مسئولية كبرى تجاه الجمهور ، إذ يتحتم عليهم أن يكونوا من ذوى الاطلاع الواسع ، وأن يجعلوا من أنفسهم اختصاصيين فى الموضوعات التى يكتبون فيها ، وأن يكونوا منصفين فى الآراء التى يكونونها أو يعبرون عنها ، فليس هناك فى هذه الأيام إنسان واحد يستطيع أن يقتدى بفرنسيس بيكون و« يجعل المعرفة كلها ملك يديه » . على أن الأمر كما يقول جافرى بارسونز عند ما كان المستشار الرئيسى لجهاز تحرير الافتتاحيات فى صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون ، هو ما يلى :

« كلما ازداد أساس المعرفة عند الكاتب متانة ازدادت مقدرته على استنهاض الفكر فى أى موضوع . فإن كاتب المقال الافتتاحى المجيد يخاطب من الناس عدداً أضخم بكثير مما توصل إليه أى مدرس أو فيلسوف أو ناقد إطلاقاً . . . وليس كثيراً عليه أى قدر من المعرفة ،

(١) بوند : مدخل فى الصحافة ص ٢٨٩ ، ٢٩١ .

إذا كان عليه أن يستوقف انتباه جمهوره » .

وإدراكاً لهذه الأهمية ، ذهب علماء الاجتماع إلى القول : إن الظروف والأحداث التى تمر بالإنسان والتغيرات التى تطرأ على المجتمع لا يمكن أن يكون لها دلالة ما ، أو يكون لها فى كيان الفرد أو المجتمع أثر ما إلا إذا وعاها الفرد وأدركها وقدرها وكيفها فإذا لم يحدث من ذلك شىء ظلت هذه الظروف والأحداث والتغيرات بعيدة عن وجدان الناس ، بل أصبحت وهى فى حكم العدم(١) .

وينعكس أثر هذه المعرفة التى يحصلها كاتب المقال الافتتاحى على ما يكتبه تحليلا للأخبار وماوراءها ، وعما يحمل كل خبر منها من مغزى . وبهذه الطريقة يستطيع الأفراد كما تستطيع الجماعات أن تحل مشاكلها التى تعرض لها ، سواء أكانت هذه المشكلات نفسية ، أم اقتصادية ، أم سياسية ، أم اجتماعية ، ويكون الفضل فى ذلك راجعاً إلى الصحافة ، أو إلى ذلك الكاتب الذى انبرى للكتابة فى الوقت المناسب وأخذ يزج بنفسه فى تلك المشكلات ، وإن لم يكن من الأفراد الذين تناولتهم كل مشكلة منها ، أو اشتركوا فى إحداها على أية صورة من الصور . وقد لا يشعر أصحاب هذه المشكلات التى أحاطت بهم وأصبح لها أثر فى حياتهم ، وذلك لانعدام الوعى من جهة ، وعجزهم عن تصور حياة

---

(١) د . حمزة : المدخل ص ٢٢٦ .

أفضل ، أو حالة أحسن من جهة ثانية[1] .

وفى ذلك ما يؤكد مسئولية كتاب المقال الافتتاحى كصاغة للرأى العام . الأمر الذى تشهد به لهجة القواعد والمبادئ التى نسقها وانتهجها المؤتمر الوطنى لكتاب الافتتاحيات فى الولايات المتحدة . فقد جاء فى فذلكة هذه القواعد « أنه يجب على كاتب المقال الافتتاحى ، إذا كان يتوخى الأمانة لمهنته ومجتمعه ، أن يجدّ فى أثر الحقيقة أنى أدى به المطاف » .

وفيما يلى النقاط الأساسية لهذا القانون :

١ - يجب على كاتب المقال الافتتاحى أن يعرض الحقائق بأمانة واكتمال .

٢ - يجب له أن يخلص من الحقائق التى يوردها إلى نتائج موضوعية وأن يدعمها بالبيانات ، وأن يقيمها على مفهوم الخير الأعم .

٣ - يجب عليه ألا يكون مدفوعاً أبداً بمصلحة شخصية .

٤ - يجب عليه أن يدرك أنه ليس معصوماً من الخطأ ، وأن يفسح مجال القول لمن يخالف رأيه ، فى عمود رسائل القراء وغير ذلك من الوسائل الملائمة .

٥ - يجب عليه أن يعيد النظر فى استنتاجاته الخاصة وأن يصححها ، إذا وجدها مرتكزة على مفاهيم خاطئة سابقة .

(١) د . حمزة : المدخل ص ٢٢٧ .

٦ - يجب أن يكون من الشجاعة بحيث يصمد لما يقتنع به على أسس متينة ، وألا يكتب أبداً أى شىء ضد ضميره . وعندما تكون صفحات الافتتاحيات نتاج أكثر من ذهن واحد ، فإن الوصول إلى رأى جماعى سديد لا يتم إلا عن طريق الآراء الفردية السديدة ، لذلك ينبغى احترام الآراء الفردية الصادرة عن تفكير .

٧ - يجب عليه أن يؤازر زملاءه فى تمسكهم بأعلى مستويات الاستقامة المهنية .

ونتيجة لهذه الأهمية التى أحرزها المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة ، فقد احتل الصفحة الأولى من صفحات الجريدة ، بحيث يكون أول شىء يطالعه القراء فيها . ولم يتزحزح المقال الافتتاحى عن مكانه الممتاز فى الصفحة الأولى إلا فى وقت قريب - أى منذ انحازت الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة إلى الخبر ، وقلت عنايتها نوعاً ما بالمقال .

وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون - نوابغ الصحافة فى كل أمة من الأمم ، بل فى كل فترة من فترات التاريخ كما يذهب إلى ذلك أستاذنا المرحوم د . حمزة .

ففى الصحافة المصرية كان يكتب المقال الافتتاحى للمجلة أو الصحيفة أمثال : محمد عبده ، وأديب إسحق ، وعبد الله النديم ،

وإبراهيم المويلحى ، والسيد على يوسف ، والزعيم الشاب مصطفى كامل ، وأحمد لطفى السيد . وعبد القادر حمزة ، وأمين الرافعى ، وإبراهيم المازنى ، وحسين هيكل ، وغيرهم من أساطين الأدب والفكر والصحافة جميعاً .

وفى الصحافة الإنجليزية وجدنا المقال الافتتاحى مكتوباً بأقلام « ديفو » و « أديسون » و « ستيل » و « جونسون » و « ويلكز » و « سويفت » وغيرهم .

وقد أصبح للافتتاحية فى الجريدة المعاصرة صيغة صحفية مميزة ، وأقرب الكتابات إليها هو المقال ، إلا أن الفرق بينهما هو أن الافتتاحية موجزة وذات طبيعة معاصرة . أما المقال فهو اليوم على قدر من الازدهار ويسر المطالعة مثله يوم خطه قلم الكاتب لأول مرة . فما كتبه « أديسون » أو « ستيل » فى القرن الثامن عشر لم يفقد قيمته اليوم ، لأنه يعالج كقاعدة موضوعاً ذا قيمة لازبة ، أما الافتتاحية التى كتبت فى القرن الثامن عشر فإنها لا تستوقف الاهتمام اليوم إلا لمجرد ما تنطوى عليه من قيمة أثرية ، ذلك أنها تكون قد عالجت موضوعاً ذا علاقة آنية بذلك الوقت فحسب على حد تعبير « بوند » .

وتأسيساً على ذلك يمكن **تعريف المقال الافتتاحى** بأنه مقال قصير وثيق الارتباط بالزمن الذى يصدر فيه .

أما الغرض الذى يرمى إليه هذا المقال الافتتاحى فهو عرض الرأى

الذى تراه الصحيفة نفسها ، ولها عدة طرق لبيان هذه الأفكار والآراء .

ومما يذكر فى هذا الصدد أن « آرثر بريسبين » ، الذى كان له أتباع كثيرون فى أيامه ، كان يعتقد أن مجال كاتب الافتتاحية يقوم على أداء عدة أغراض ، هى : أن **يعلم** ، **وينازل** ، **ويدافع** ، **ويمتدح** .

والتعليم هو أهم هذه الأغراض وأصعبها . والنزال أسهلها وأبغضها إلى النفس ، وأن تكون ضرورية فى بعض الأحيان .

أما الدفاع عن القضايا الخيرة ، وعن الضعيف ضد القوى ، وعن الفكرة الجديدة والحيلولة دون تسفيهها ، فأمر مهم ويهمله كتاب الافتتاحية عادة . .

وكذلك الثناء مهمل أيضاً إلا على الصعيد الحزبى دون أن يكون له معنى ما[1] . .

إن وظيفة الافتتاحية ، من وجهة نظر مثالية ، هى إعلام الرأى العام والأخذ بيده ، فهى تفسر النبأ السائر للقارئ وتبين ماله من دلالة . وتقول فى ذلك جريدة « نيويرك تايمز » : « إذا ضلت الوظيفة القيادية طريقها فى بعض المواضع بين وقت وآخر ، فإن العامل المعتمد عليه فى التصويب جاهز دائماً فى متناول اليد إذا كانت أعمدة الأنباء تعرض الحقائق بأمانة » .

ونخلص مما تقدم إلى أن الخصائص التى يتميز بها المقال الافتتاحى فى

---

(١) د. حمزة : المدخل ص ٢٩٣ .

الصحافة المعاصرة هى[١] :

أولا : خصيصة الثبات على سياسة واحدة هى سياسة الصحيفة ، إذ لا يصح لهذه الصحيفة أن تكون مذبذبة بين سياسات كثيرة لأنها بذلك تفقد أهميتها كصحيفة من صحف الرأى ومن أجل هذا يراعى فى المقال الافتتاحى عادة **ألا يكون مذيلا بتوقيع كاتبه** ، لأنه مقال منسوب إلى الصحيفة نفسها بوصفها هيئة من هيئات الإعلام ، لها سياستها وهدفها من وراء هذا الإعلام .

ثانيا : خصيصة الحذر والاحتياط فى إبداء الرأى لأنه مادام رئيس التحرير أوكاتب المقال الافتتاحى لا يعبر عن رأيه الشخصى ، بل عن رأى الصحيفة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وظيفتها – الإعلام – وجب عليه أن يصطنع الحيطة فيما يكتب من مواد باسم الصحيفة : وإلا عرضها للخطر .

وهنا تثار مسألة تتصل « **بضمير الكاتب** » ، فهل معنى ما تقدم أن الكاتب ينبغى أن يخالف ضميره فيما يقدم للقراء من هذه المادة الصحفية الهامة التى هى ملك للصحيفة قبل أن تكون ملكاً لكاتب من كتابها ؟

والجواب عن ذلك – كما يقول الدكتور سبنسر – هو أن الكاتب الذى يختلف فى وجهة نظره عن وجهة نظر الصحيفة يجب ألا يجعل من المقال الافتتاحى مجالا لإظهار ذلك .

---

(١) د . حمزة : المدخل ص ٢٢٠ .

وباختصار يجب أن يعرف المحرر الصحفى للمقال الافتتاحى أن هناك ثلاثة أشياء يؤثر بعضها فى بعض ويعتمد بعضها على بعض ويتداخل بعضها فى بعض ، وهذه الأشياء الثلاثة هى[١] :

سياسة الجريدة ، وصياغة المقال ، واهتمام القراء .

والواقع أن وظيفة كاتب الافتتاحية تظل هى كما كانت دائماً : تفسير الأنباء ، وإرشاد الرأى ، والقيام بالحملات من أجل مساندة القضايا العادلة ، ولكن النطاق الذى يعمل ضمنه قد اتسع ، على حد تعبير « بوند » .

وليس الترفيه أقل خصائص المقال الافتتاحى شأناً . فإن كاتب المقال الافتتاحى كثيراً ما يجد هذه المهمة أصعب منْ مجرد مناقشة قضية ما أو عرض عقيدة سياسية ما ، على أن الاتجاه الحديث المتزايد هو نحو إشاعة الإشراق على صفحة الافتتاحية بما يسمى الافتتاحيات « الرشيقة المرحة » المختلفة عن الافتتاحيات التقليدية ، كالبحث فى قاعدة لغوية ومداعبة الشاذ عنها أو المتمسك بأصولها حتى التعصب .[٢]

تلك فى إيجاز شديد ، هى أهم خصائص المقال الافتتاحى فى الصحافة العالمية ، والتى استمدها نتيجة لتطور الصحافة نفسها ، فأصبحت الصحافة الحديثة تعمد إلى كتابة العمود الرئيسى أو المقال

(١) حمزة : المدخل ص ٢٣١ .

(٢) بوند : مدخل ص ٢٢٩ .

الافتتاحى على نحو من الإيجاز فى عمود واحد من أعمدة الصحيفة ، وفى هذا العمود مقال واحد حيناً ، ومقالان أو ثلاثة حيناً آخر .

وذلك لكى تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الأخرى التى لم تعرفها الصحافة القديمة ، أوكانت معرفتها بهذه المواد قليلة .

(ب) فنّ العمود الصحفى

نتحدث هنا عن « فن العمود الصحفى » لنتعرف على فن مقالى جديد فى الصحافة ، التى يمكن أن نميز فيها اهتماماً بالغاً بفنون : **المعالم** فى التحرير الصحفى ، التى تشمل **التقرير الصحفى والحديث الخاص** ، وكما رأينا عند دراسة المقالات الصحفية Articles والمقالات الافتتاحية Leading Articles .

ويجىء فن العمود الصحفى فى مكانه من الجانب المقالى الذى احتل حيزاً كبيراً من الصحافة ، لما يمتاز به من وصف واقعى ورجوع إلى مصادر الأنباء ، وأسلوب صحفى اجتماعى بسيط ، فضلا عن تنوع أساليب التحرير فى المقال ، وعلى الرغم من أن لفن العمود الصحفى فى الجريدة اليوم منزلة الباب الصحفى الثابت فى العالم ، وعلى الرغم من أن عدد قرائه يزيد كثيراً على عدد قراء الافتتاحية غير الموقعة ، فإن تكامل العمود وشعبيته حديثا عهد نسبيًّا . ذلك أن الصحف اهتمت فى حياتها بالخبر ثم بالمقال ، على حين لم يتسع المجال للعمود الصحفى فلم يظهر إلا متأخرا ، وإذا جاز أن يختار تاريخ لظهور أهمية العمود الصحفى فى الصحف ، فإن من المرجح أن يكون ذلك التاريخ منحصراً فى أوائل

القرن العشرين . فالصحف العربية والمصرية خاصة ، كانت تعتمد على المقال الافتتاحى ، الذى كان طويلا فى البداية ، ثم أخذ يقصر شيئاً فشيئاً ، كما كانت موضوعات هذا المقال تدور حول موضوعات جادة فى أغلب الأحيان ، وإن كانت تتناول أحياناً بعض الموضوعات الطريفة .

غير أن الصحف المصرية قد أخذت عن الصحافة الغربية فن العمود الصحفى ، فنحن نجد طه حسين يتجه فى أوائل العشرينيات إلى العمود المتخصص ، **أو الثقافى** ، فى « **حديث الأربعاء** » ومن ذلك يبين أن ظهور العمود المتخصص ، بداءة فى مقال طه حسين ، يعكس حاجة التجاوب بين الصحافة وطبقات الشعب المصرى بعد ثورة **١٩١٩** ، والتى دفعت الكتاب إلى أنحاء من التصوير والتعبير يطمحون إلى أن تكون « مرآة صافية صقيلة لحياة الشعب ، يرى فيها الشعب نفسه فيحب منها ما يحب ويبغض منها ما يبغض ، ويدفعه حبه إلى التماس الكمال ، ويدفعه بغضه إلى التماس الإصلاح » .

والعمود المتخصص إذن ، ثمرة من ثمار الروابط الثقافية والاجتماعية ، التى ظهرت بظهور الترابط الاجتماعى متعدد الوجوه وتجارب الصحافة مع الطبقات الجديدة فى المجتمعات المختلفة . وهو عند طه حسين يحقق الصلة بين « الشعب وحياته الواقعة من الناس دون تفريق » .

وفى ضوء هذه الرؤيا ، تتعدد أذواق قراء الصحف ومشاربهم

ومستوياتهم ، طبقياً واجتماعيًّا ، واقتصاديًّا وثقافيًّا ، وفى مواجهة هذه الحياة الواقعة الجديدة ليس للصحافة بد من أن تتطور وتغير من أسلوب تحريرها واختيار موضوعاتها ، فاتجهت المقالات إلى الاهتمام بمصالح الأفراد والجماعات المتعددة المذاهب والاتجاهات والأهداف . ونشأ عن هذا الاتجاه : المقال الافتتاحى القصير ثم فن العمود الصحفى الذى أخذناه عن الصحافة الغربية .

ولكن هذا الفن يرتبط بما اتصف به النصف الأول من هذا القرن فى نهايته من عامل السرعة من جهة ، وبالضغوط التى تعرضت لها الصحافة المصرية ، كما يبين من التشريعات الخاصة بالنشر من جهة أخرى ، بحيث أصبح المقال الموقع فى الصحف اليومية فى مواجهة ضغوط لا تنبع كلها من داخل صناعة الصحف وإنما تنبع من أعمال الرقابة الإدارية على الصحف كذلك . ولعل فى هذا ما يفسر اتجاه **فن العمود إلى التوسل بالرمز** ، لمواجهة المصادرة التى فرضت على الصحف والكتب ، وهنا نجد طه حسين - مثلا - يكتب « **جنة الشوك** » . وينشرها على شكل عمود فى « الأهرام » فى الأربعينيات قبل جمعها فى كتاب ينشر لأول مرة عام ١٩٤٥ . وظل هذا العنوان اسماً لعموده الصحفى فى « **الجمهورية** » فى الستينيات .

ومقال العمود حديث شخصى يومى أو أسبوعى لكاتب معين يوقعه باسمه وتحت عنوان ثابت مثل « فكرة » لمصطفى أمين بالأخبار ، والتى

كان يكتبها من قبل المرحوم على أمين ، و « مواقف » لأنيس منصور بالأهرام والتى كان يكتبها من قبل بالأخبار و« نحو النور » لزكى عبد القادر بالأخبار و « الموقف الراهن » لرائد عطار و« مجرد نصيحة » لصلاح منتصر بالأهرام . . و « صندوق الدنيا » لأحمد بهجت بالأهرام إلخ .

والعمود الصحفى يمثل فكرة أو رأياً أو خاطراً للكاتب ، حول واقعة أو ظاهرة اجتماعية ، أو سياسية أو ثقافية . ذلك أن الغاية الأساسية من هذا الفن المقالى هى ربط القارئ بالكاتب وبالصحيفة . ويعتبر العمود رأياً شخصيًّا للكاتب قد يختلف مع سياسة الصحيفة فى موضوع معين ، غير أن بعض علماء الصحافة مثل ليبلينج يذهبون إلى أن كاتب العمود لا يختلف عن كاتب المقال الافتتاحى ، لأنه يعرض وجهة نظر الصحيفة لا وجهة نظره هو ، على أن معظم الصحف الكبرى فى العالم تؤثر أن يكتب الكاتب بحرية كافيةِ معبراً عن رأيه الشخصى .

فعمود أنيس منصور « مواقف » ينطبق عليه قول ابن العميد عن الجاحظ بمعنى أنه « يعلم العقل أولا والأدب والسياسة بعد ذلك » ؛ فأنيس منصور ومصطفى أمين يمثلان ما وصلت إليه المدرسة الحديثة من ترسل صحفى يمتاز بالبساطة والوضوح وحرية التعبير القائم على التعقيل الصحيح . أما رائد عطار فإنه يأخذ نفسه بموضوع سياسى معين لا يحاول الخروج عنه ، بحيث تقترب مقالاته العمودية من فن أديسون الذى جمع

بين الفلسفة العقلية وإجادة الأسلوب الصحفى . فى حين يقترب مصطفى أمين وأنيس منصور من فن « مونتانى » من حيث التعبير عن الآراء الشخصية التى تجعل من فن العمود قصيدة غنائية .

ويمثل صلاح منتصر فى « **مجرد نصيحة** » أهم خصيصة من خصائص فن العمود ونعنى « روح الفكاهة » ؛ حيث يعتمد فيه على حسن تذوقه للحوادث اليومية ، كما يعتمد على الشواهد العملية ؛ ذلك أنه يفترض فى عموده دائماً وجود « الآخر » الذى يسخر منه ؛ أو يشترك معه فى السخرية ، أو يتبادل معه النكتة ؛ ولكنه يوظف هذه السخرية لأداء وظائف الصحافة فى اتخاذ السخرية سيفاً مصلتاً تسلطه على رقاب الخارجين على المعايير العامة .

و « روح الفكاهة » هى السمة الرئيسية لعمود أحمد بهجت « صندوق الدنيا » ؛ حيث يوظف هذا العمود للسخرية اللاذعة والضحك الموجع من الخارجين على قوانين المجتمع ؛ ولعل أحمد بهجت وهو يفعل ذلك يتمثل الشخصية المصرية فى اتخاذها للسخرية وسيلة للنقد والإصلاح بالنسبة إلى المجتمع المصرى ذاته ؛ ذلك أن الضحك - كما يقول برجسون - وسيلة فعالة لتصحيح أو تعديل تلك الآليات الضارة التى تنطوى عليها حياتنا الاجتماعية العادية بإظهارنا على ما فيها من سخف وعبث وتفاهة .

ومن أجل ذلك يذهب العلماء إلى أن خصائص العمود من حيث

التعبير تشمل : **جمال الأسلوب وروح الفكاهة والذاتية** التى تميزه عن المقال الافتتاحى ؛ واتخاذه شكل الهرم المعتدل فى الصياغة والإيجاز فى العبارة ، وربما كان أهم من ذلك كله أن كتاب العمود الصحفى ينبغى لهم ألا يضيعوا من وقتهم ومن وقت القراء – على حد تعبير ريفرز – فى تقديم قضية من القضايا بطريقة القصة الخبرية ، ثم يلصقون فى نهايتها فقرة قصيرة من المدح ، أو القدح .

(حـ) فن اليوميات الصحفية

يقترب فن اليوميات الصحفية من روح فن العمود الصحفى من حيث التعبير عن خوالج النفس وروح المذهب الذى يعتنقه الكاتب، ونظرته إلى الحياة، حيث يسجل فى هذا الفن المقالى خواطره المتناثرة التى تؤثر فى القارئ، وهى خواطر تتصل بصلات من العاطفة أو الخيال، ذلك أن فن اليوميات يتضمن خاطراً يلحق خاطراً ويتبعه — لا لأن بينهما علاقة منطقية كالتى تأتى بالنتيجة وراء سببها بل لأن هذين الخاطرين مرتبطان فى خيال الكاتب أو يتصلان بعاطفته، كما يذهب إلى ذلك « تشارلتن ».

فكاتب اليوميات الصحفية يكتب « وكأنه يتحدث فى سمر حديثاً مطلقاً من كل قيد، فيدع الخواطر يسوق بعضها بعضاً بما بينها من روابط تستدعى تتابعها وتداعيها دون أن يعمل فى ذلك عقله ومنطقه لينظم الترتيب والسياق.. هكذا بدأ مونتانى أدب المقالة على وجهه الصحيح ».

ويذهب بعض علماء الصحافة إلى أن المحرر الصحفى ينبغى أن يترك آراءه الخاصة عند باب غرفة التحرير، ويخلعها دائماً كما يخلع معطفه عند

هذا الباب حتى إذا ما انتهى عمله ، وعاد إلى معطفه عادت إليه آراؤه الخاصة التى يمكنه أن يحتفظ بها لنفسه ، غير أن هذا الرأى لا يمكن أن ينطبق على كاتب اليوميات بصفة مطلقة ، وذلك - كما يقول الدكتور إمام - لأن اليوميات أشبه بالمقال الأدبى من بحث العناية باختيار الألفاظ والاحتفاظ بطلاوة الأسلوب ، بل لعلها أقرب إلى مقالات الاعترافات بصفة خاصة ، فهى تقدم صوراً نابضة بالحياة ، زاخرة بالمعانى ، وهى تتطلب سيطرة تامة على اللغة والتعبير بالأسلوب السهل الممتنع ، ولا شك أن طواعية اللغة لا تتيسر إلا للعارفين بها ، والقادرين عليها . على نحو ما نجد فى « **يوميات الأخبار** » التى كان يكتبها العقاد رحمه الله ، والتى لا يزال يكتبها نخبة من الكتاب من أمثال : ابراهيم المصرى - زكى عبد القادر - محمد فهمى عبد اللطيف ، وكما نجد فى « **مفكرة** » الأهرام التى يكتبها حشد من الأدباء والمفكرين من أمثال : عبد الرحمن الشرقاوى - ثروت أباظة - زكى نجيب محمود ود . يوسف عز الدين عيسى . وغيرهم .

وفى مقالات « اليوميات » بالأخبار ، و« المفكرة » بالأهرام ، يبين لنا أن فن اليوميات الصحفية يمكن أن يتلخص فى أنه يتناول الفكرة والأداء فى وصل جماهير الناس بالحضارة ومعطيات العصر : آرائه وأفكارة وأدواته وآلاته وتشوقه وتطلعاته ، عن طريق تطويع اللغة لمعطيات الحضارة .

صدر من هذه السلسلة :

١ - طعام الفم والروح والعقل	توفيق الحكيم
٢ - الفضاء ومستقبل الإنسان	د . فاروق الباز
٣ - شريعة الله وشريعة الإنسان	المستشار على منصور
٤ - أسس التفكير العلمى	د . زكى نجيب محمود
٥ - عالم الحيوان	د . محمد رشاد الطوبى
٦ - تاريخ التاريخ	على أدهم
٧ - الفلسفة فى مسارها التاريخى	د . توفيق الطويل
٨ - حواء وبناتها فى القرآن الكريم	أمينة الصاوى
٩ - علم التفسير .	د . محمد حسين الذهبى
١٠ - المسرح الملحمى	د . عبد الغفار مكاوى
١١ - تاريخ العلوم عند العرب	د . أحمد سعيد الدمرداش
١٢ - شلل الأطفال	د . مصطفى الديوانى
١٣ - الصهيونية	فتحى الإبيارى
١٤ - البطولة فى القصص الشعبى	د . نبيلة إبراهيم سالم
١٤م - عيون تكشف المجهول	د . محمد عبد الهادى
١٥ - الحضارة	د . أحمد حمدى محمود
١٦ - أيامى على الهوا	سلوى العنانى
١٧ - المساواة فى الإسلام	د . محمد بديع شريف
١٨ - القصة القصيرة	د . سيد حامد النساج
١٩ - عالم النبات	د . مصطفى عبد العزيز مصطفى
٢٠ - العدالة الاجتماعية فى الإسلام	أنور أحمد
٢١ - السينما فن	صلاح أبو سيف

٢٢ - قناصل الدول	أحمد عبد المجيد
٢٣ - الأدب العربي وتاريخه	د . أحمد الحوفى
٢٤ - الكتاب والمكتبة والقارئ	حسن رشاد
٢٥ - الصحة النفسية	د . سلوى الملا
٢٦ - طبيعة الدراما	د . إبراهيم حمادة
٢٧ - الحضارة الإسلامية	د . على حسنى الخربوطلى
٢٨ - علم الإجتماع	د . فاروق محمد العادلى
٢٨م- روح مصر فى قصص السباعى	حسن محسّب
٢٩ - القصة فى الشعر العربى	ثروت أباظة
٣٠ - العمارة الإسلامية	د . كمال الدين سامح
٣١ - الغلاف الجوى	د يوسف عبد المجيد فايد
٣١م- محمود حسن اسماعيل	د . عبد العزيز الدسوقى
٣٢ - التاريخ عند المسلمين	محمد عبد الغنى حسن
٣٣ - الخلق الفنى	د . مصرى عبد الحميد حنوره
٣٤ - البوصيرى المادح الأعظم للرسول	عبد العال الحمامصى
٣٥ - التراث العربى	عبد السلام هارون
٣٦ - العودة الى الإيمان	أحمد حسن الباقورى
٣٧ - الصحافة مهنة ورسالة	د . خليل صابات
٣٨ - يوميات طبيب فى الأرياف	د . الدمرداش أحمد
٣٩ - السلام وجائزة السلام	عثمان نويه
٤٠ - الشريعة الإسلامية	المستشار عبد الحليم الجندى
٤١ - ثقافة الطفل العربى	جمال أبو رية
٤٢ - اللغة الفارسية	د . محمد نور الدين عبد المنعم
٤٣ - حضارتنا وحضارتهم	د . عبد المنعم النمر

٤٤ – الأمثال الشعبية	محمد قنديل البقلى
٤٥ – التعريف بالاقتصاد	د . حسين عمر
٤٦ – المستوطنات اليهودية	حسن فؤاد
٤٧ – بدر والفتح	محمد فرج
٤٨ – الفلسفة والحقيقة .	د . عبد الحليم محمود
٤٩ – الطب النفسى	د . عادل صادق
٥٠ – كيف نفهم اليهود	د . حسين مؤنس
٥١ – الفن الإذاعى	د . فوزية فهيم
٥٢ – الكتابة العربية	محمد شوق أمين
٥٣ – مرض السكر	د . أحمد غريب
٥٤ – شوقى أمير الشعراء... لماذا ؟	فتحى سعيد
٥٥ – الفلسفة الإسلامية	د . أحمد عاطف العراق
٥٦ – الشعر فى المعركة	حسن النجار
٥٧ – طه حسين يتكلم	سامح كريم
٥٨ – الإعلام ولغة الحضارة	د . عبد العزيز شرف
٥٩ – تاجور شاعر الحب والحكمة	على شلش
٦٠ – كوكب الأرض	د . فرخندة حسن
٦١ – السير الشعبية	فاروق خورشيد
٦٢ – التصوف عند الفرس	د . إبراهيم شتا
٦٣ – الرومانسية فى الأدب الفرنسى	د . أمال فريد
٦٤ – القرآن وحياتنا الثالثة	محمود بن الشريف
٦٥ – التعبيرية فى الفن التشكيلى	د . نعيم عطية
٦٦ – ميراث الفقراء	فؤاد شاكر
٦٧ – العمارة والبيئة	المهندس حسن فتحى

٦٨ – قادة الفكر الاقتصادى	د. صلاح نامق
٦٩ – المسرح الغنائى العربى	محمود كامل
٧٠ – الله أم الطبيعة	د. يوسف عز الدين عيسى
٧١ – بحر الهواء الذى نعيش فيه	د. مدحت إسلام
٧٢ – الأدب الفرنسى فى عصر النهضة	د. رجاء ياقوت
٧٣ – الحرب ضد التلوث	رجب سعد السيد
٧٤ – القصة والمجتمع	يوسف الشارونى
٧٥ – المتنظرون الثلاثة	عبد الله الكبير
٧٥م– محمود أبو الوفا	فتحى سعيد
٧٦ – العسكرية الإسلامية	لواء / جمال الدين محفوظ
٧٧ – النفايات الذرية	د. محمد عبد الله بيومى
٧٨ – الإعلام والنقد الفنى	د. أحمد المغازى
٧٩ – المسرح الأمريكى	د. عبد العزيز حمودة
٨٠ – زحف الصحراء	د. محمد فتحى عوض الله
٨١ – مشاكل الطفل النفسية	د. كلير فهيم
٨٢ – الأدب التركى	د. حسين مجيب المصرى
٨٣ – مضادات الحيوية	د. محمد صادق صبور
٨٤ – الرواية الإنجليزية	د. إنجيل بطرس
٨٥ – الضحك فلسفة وفن	جلال العشرى
٨٦ – الاستثمارات الأجنبية	د. عبد الواحد الفار
٨٧ – لغتنا الجميلة	فاروق شوشة
٨٨ – الحرب عند العرب	د. عبد الرحمن زكى
٨٩ – لئلا نحترف البكاء	نشأت التغلبى
٩٠ – الإسلام وروح العصر	د. حسين فوزى النجار

٩١ - التراث الشعبي	د . عبد الحميد يونس
٩٢ - علم المنطق	د . محمد مهران
٩٣ - القلب وتصلب الشرايين	د . رجب عبد السلام
٩٤ - فن الخزف	سعد الخادم
٩٥ - الإعجاز القرآنى	د . محمد أحمد العزب
٩٦ - سفراء النبى	د . مختار الوكيل
٩٧ - ساعة مع القرآن العظيم	د . عبد العظيم المطعنى
٩٨ - لغة الصحافة المعاصرة	د . محمد حسن عبد العزيز
٩٩ - الكيمياء الصناعية	د . محمد الحلوجى
١٠٠ - الدراما الأفريقية	د . على شلش
١٠١ - وكالات الأنباء .	شفيق عبد اللطيف
١٠٢ - الحدوتة والحكاية الشعبية	محمد فهمى عبد اللطيف
١٠٣ - ألف باء السياسية	د . أحمد حمدى محمود
١٠٤ - تطور الشعر فى الغناء العربى	غطاس عبد الملك
١٠٥ - الحرب الإلكترونية	عبده مباشر
١٠٦ - البطل فى القصة المصرية	حسن محسب
١٠٧ - عجائب الحشرات	د . محمد طلعت الأبراشى
١٠٨ - الإذاعة خارج الحدود	أنور شتا
١٠٨م - مصر الخضراء	د . فاروق الباز
١٠٩ - القانون الطبيعى وقواعد العدالة	عبد السميع الهراوى
١١٠ - فن التصوير السينمائى	أحمد الحضرى
١١١ - الطـــاقة	د . محمد فتحى عوض الله
١١٢ - الفن والمرأة	شريفة فتحى
١١٣ - نظام الحكم فى الإسلام	د . مصطفى كمال وصفى

١١٤ - رحلتى مع الرواية	فتحي أبو الفضل
١١٥ - التطـــور	د. منى فريد
١١٦ - الأدب والمواطن	عباس خضر
١١٧ - آفاق جديدة فى التعليم	د. طلعت حسن
١١٨ - الفن القبطى	د. باهور لبيب
١١٩ - اجتماعيات التنمية	د. محمود الكردى
١٢٠ - المسرح الشامل	أحمد زكى
١٢١ - رسائل إخوان الصفا	د. على السكرى
١٢٢ - الرمزية الصوفية فى القرآن	د. سيد عبد التواب
١٢٣ - الحب فى الشعر الفارسى	د. عفاف زيدان
١٢٤ - الإنسان والعـــلم	د. عبد العزيز أمين
١٢٥ - نظرات فى القصة القصيرة	حسين القبانى
١٢٦ - الفراعنة أساطين الطب	محمد عبد الحميد بسيونى
١٢٧ - كهـــف الحكيم	فتحي العشرى
١٢٨ - فنون الزجل	محمد قنديل البقلى
١٢٩ - للألبان فلسفة وأسرار	د. مصطفى الديوانى
١٣٠ - الدراما اليونانية	كمال ممدوح حمدى
١٣١ - الأسرة فى الدين والحياة	المستشار محمد عبد الفتاح الشهاوى
١٣٢ - الأدب والحضارة	د. نعمات أحمد فؤاد
١٣٣ - الجراحة علم وفن	د. عوض الدحة
١٣٤ - علم النفس والجريمة	المستشار محمد فتحى
١٣٥ - فن المقال الصحفى	د. عبد العزيز شرف